الناشر:
العتبة العباسية المقدسة /دار الرسول الاعظم ﷺ

المتابعة و التنفيذ :
رضوان عبد الهادي السلامي

الادارة الفنية :
م.م.ياسين خضير الجنابي

التحرير الطباعي
حسن علي عبداللطيف المرسومي

التدقيق اللغوي:
أ.د.شعلان عبدعلي سلطان
م.د. أحمد حسن الغانمي

التصميم :
أحمد نعمة الخفاجي

الإدارة الالكترونية:
عقيل مسلم الخزاعي

دليل ندوات دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

في البدء

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها ، والصلاة والسلام على عبْدِهِ وَرَسُولِهِ محمد ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أن اجْتَبَلَهُ، وَاصْطفاهُ قَبْلَ أن ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُورِ، وَإِحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ، وعلى آله الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

عام آخر يمرّ على دار الرسول الأعظم ﷺ وهي تحتضن أفكار المتخصصين والمهتمين بالسيرة النبوية في ملتقى علمي فصلي (ملتقى السيرة) لمراجعة موضوعات سيرية مختلفة وصولا إلى إقامة رؤية علمية واضحة في دراسة السيرة ،وتقديم الأسس الصحيحة للتعاطي مع أحداثها .

وقد ضم هذا الدليل (دليل نداوت٢٠٢٢) أربع ندوات علمية افتتحناها ببحث علمي عن حدث تاريخي مهم ، يعدُّ جزءًا من السيرة ؛لكونه يؤرخ لمولد النبي الأكرم ، وذلك بعرض هذا الحدث التاريخي على الإشارة القرآني التي أوردته في

سورة الفيل . في حين كانت المحطة الأخرى نهج البلاغة ؛ ليصوَّر لنا شخصية النبي ـ ﷺ أخوه وربيبه وأقرب الناس إليه وأعرفهم به. أما البحث الثالث فوقفنا عند كتاب في السيرة النبوية ذاع صيت مؤلفه ، وعرف بمنهجه العلمي الرصين، وخبرته الواسعة في البحث التاريخي وهو الدكتور جواد علي في كتابه(تاريخ العرب في الإسلام ،السيرة النبوية).

أما ختام هذا الملتقى فكان مسكًا فاح به سماحة السيد محمد حسين العميدي عبر بحث علمي، قدّم لنا رؤية دقيقة لمعايير تصحيح دراسة السيرة النبوية .

وستبقى النشاطات العلمية للدار – بعونه تعالى وببركة من نعمل في ظلال فيضه – تترى في سبيل تصحيح المسار وإثارة الباحثين ، وتحفيز أقلامهم لفهم السيرة النبوية التي تمثل ترجمة لأعظم تجربة في حياة البشرية ، جسدت روح الإسلام ومبادئه السامية .

نأمل من الباحثين والمهتمين الكرام تقديم الرؤى والأفكار التي تكون لبنة مهمة في قراءة السيرة قراءة تقرِّبنا من الواقع وتكشف الحقائق . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله الطاهرين.

الندوة الأولى

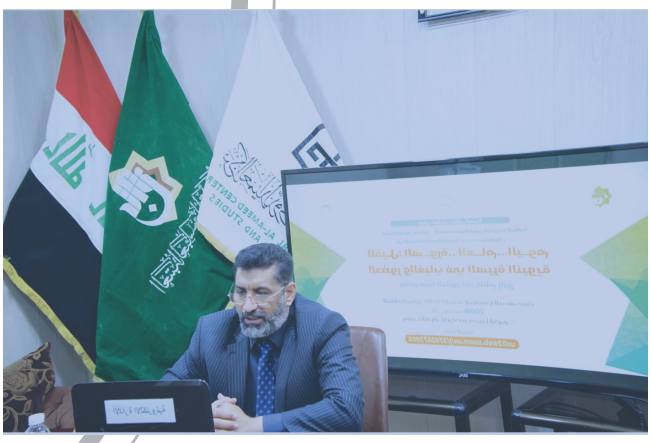

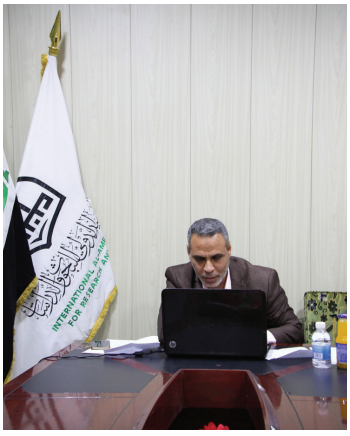

- الفيل : السورة ، العام ، اليوم
  الحضور والغياب في السيرة النبوية

- المحاضر:
  أ.د. اياد كاظم راجح

- ادارة الندوة:
  أ.د.شعلان عبد علي سلطان

- عقدت الندوة افتراضيا على منصةzoom
  يوم الثلاثاء الموافق 2022/3/1 م

تكتسب حادثة الفيل – بوصفها واقعة تاريخية وردت في المتون التاريخية لمرحلة العرب قبل الإسلام أرخت بيوم الخامس عشر من المحرم– تكتسب أهميتها أولا من صلتها الواضحة بالقرآن الكريم؛ إذ فهم المفسرون أن أصحاب الفيل الذين تحدثت السورة رقم ١٠٥ عنهم وما فعله الله بهم في خمس آيات، ما كانوا إلا أولئك الأحباش الذين قدموا من اليمن بمعية قائدهم أبرهة لهدم بيت الله الحرام يسوقون فيلا أو أفيالا كثيرة باختلاف الروايات، ثم أهلكهم الله تعالى بالطريقة التي عرضتها السورة.

تتصل حادثة يوم الفيل –من جهة أخرى– بالسيرة النبوية من حيث إن العام الذي وقعت فيه كان عام ولادة النبي محمد ﷺ.

وثمة أهمية أخرى آنية قد تضيفها إلى هذه الحادثة الإشكالات المثارة من بعض الباحثين المعاصرين بشأن وقوع الحادثة أصلا، ومن ثم بموضوعة الربط بينها وبين مقاصد سورة الفيل الحقيقية.

لذلك تضمنت هذه الورقة البحثية بعد محاولة تلمس المفاهيم الرئيسة للسيرة النبوية وتفرعاتها، محاولة البحث في حضور الأوجه الثلاثة لموضوعة الفيل: السورة والعام والحادثة (اليوم)، في مرويات السيرة النبوية.

وللحضور والغياب صور متعددة أوسع من مجرد الحضور النصي أو غيابه، ففي الوقت الذي تغيب سورة الفيل في مدونة ما من مدونات السيرة النبوية قد تجد لها حضورا آخر كالحضور المنهجي في المدونة نفسها. فترى أن عملية سرد واقعة يوم الفيل لا تنأى بنفسها –بوعي أو من دون وعي– عن تلك الأسئلة الملحة المرتبطة بتفسير سورة الفيل.

إن تلك الإجابات المتناثرة ما هي إلا حضور، بمعنىً ما، لسورة الفيل في ثنايا السيرة النبوية المكتوبة.

كذلك فإن لسياق إيراد واقعة الفيل في أخبار السيرة النبوية دلالاته المتعددة، فورود خبر أصحاب الفيل في مرحلة تاريخ العرب قبل الإسلام بوصفها مقدمة للسيرة النبوية له دلالته المختلفة تماما عن وروده في سياق الحديث عن عام الفيل بوصفه عام ولادة النبي ﷺ.

أما عام الفيل فعلى الرغم من وجود بعض الروايات التي لا تطابقه زمانيا مع عام ولادة النبي ﷺ الأمر الذي يشير إلى عدم الالتفات إلى مسألة الإعجاز المشار إليها كثيرا في نصوص السيرة النبوية التي ربطت بين ذلك الاتفاق الزماني ودلالات نبوته ﷺ. نلاحظ على أية حال أن تلك الآراء القليلة التي نفت التزامن بين الولادة والحادثة في العام نفسه لم تغفل الإشارة إلى التقارب الزمني بين الواقعتين، فأخذت تؤرخ لإحداها بالأخرى.

أما من جانب الإشكالات التي تثار حول وقوع الحادثة أصلا قرب مكة وصلتها ببيت الله الحرام ومن ثم ارتباطها بسورة الفيل، فهي إشكاليات ليست بجديدة، فقد حرص عدد من المفسرين على الرد على ما أسموه بتشكيكات الملاحدة والفلاسفة بشأن الواقعة، مع أن الإشكاليات المعاصرة تعتمد طرح أسئلة ذات صلة بالعلوم الطبيعية فضلا عن التساؤلات المنطقية، ومهما كان مدى دقة تلك الاعتراضات فإن حضور الواقعة في التراث الإسلامي أوسع وأكثر تجذرا من أن يلغى لمجرد وجود أسئلة لمّا تجد بعد أجوبتها الشافية.

لعل التأمل في معنى السيرة النبوية يحيل الذهن إلى مفهومين رئيسين:

الأول: السيرة النبوية الواقعية: وهي مجموعة الحوادث والوقائع التاريخية ذات الصلة بخاتم الأنبياء محمد ﷺ الواقعة في زمانها.

الثاني: السيرة النبوية الأثر: ويمكن أن نعبر عنها بالسيرة المعرفية أو السيرة النبوية المكتوبة أو المدونة.

ومن المؤكد أن السيرة النبوية الواقعية لم تصلنا أخبارها كاملة، أو بعبارة أخرى: إن الأثر لم يكشف عن كل ما وراءه من وقائع الماضي وبتفاصيلها الكاملة، وهذا أمر مفهوم.

وبطبيعة الحال فإن البحث في الحضور والغياب سواء لسورة الفيل أم عام الفيل أم يوم الفيل يشمل ما وصلنا من أثر السيرة النبوية المكتوب، ولا معنى للبحث في السيرة الواقعية التي هي أحداث وقعت في الماضي وانتهت في زمانها.

على الرغم من أن ما جاء في هذه المقدمة قد يبدو تحصيل حاصل، ثمة أهمية تكمن في محاولة البحث عن مفهوم واضح لما أسميناه بالسيرة النبوية الأثر أو السيرة النبوية المدونة أو المكتوبة، إذ لا تقتصر السيرة النبوية على تلك المدونات التخصصية أو المصنفات التي وضعت في سيرة النبي ﷺ ومغازيه، حتى وفاته سنة ١١هـ، بشكل شامل ومستقل، إذ لدينا أثر واضح لوقائع السيرة النبوية وحوادثها في مؤلفات أخرى ادمجت فيها مرويات عن السيرة النبوية، أو أفردت لها أجزاء خاصة، ومن ذلك كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ العام وكتب التفسير وكتب الحديث وشروحه، فضلا عن مختصرات السيرة النبوية وما صنف في أقسام خاصة منها مثل كتب دلائل النبوة وخصائص النبي ﷺ. وعليه فإن مجال البحث كان أكثر شمولا من أن يقتصر على كتب السيرة الشاملة المعروفة، ومن دون أن يدعي الباحث أيضا، أنه قد استقصى كل ما ورد بهذا الشأن في التراث الإسلامي، فذلك أمر صعب المنال.

أولا: سورة الفيل:

يمكننا التمييز بين نوعين من أنواع الحضور والغياب لسورة الفيل في السيرة النبوية:

١-الحضور والغياب النصي: قد يكون حضور نص سورة الفيل في أثناء سرد المؤرخين والرواة والإخباريين لحادثة الفيل أمرا مفترضا بالنظر للانطلاقة الدينية التي أوجدت الكتابة في السيرة النبوية، فأصل الاندفاع لدى المسلمين لتعرف السيرة وكتابتها هو التأسي به ﷺ. امتثالا لقوله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)). مع دوافع أخرى بطبيعة الحال، سياسية وإدارية واجتماعية؛ ولذلك تجد أن عددا من المدونات قد تضمنت إيراد سورة الفيل في أثناء الحديث عن حادثة الفيل كما أوردها ابن هشام (ت ٢١٣ أو ٢١٨هـ) نصا في سيرته، وأشار إليها الدينوري (ت ٢٨٢هـ) حين قال: »فكان من أمره ما قد قصه الله في سورة الفيل«. وقد اعتمد الدينوري هذا المنهج في مناسبات أخرى، فحينما تعرض لذكر ذي نواس وما فعله بنصارى نجران، قال: »منهم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه في القرآن«.

وكذلك ذكر البلخي (ت ٣٢٢هـ) في البدء والتاريخ المنسوب له، نصّ السورة حينما ذكر الحادثة. وأشار اليها ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) في الثقات، فقال بعد ذكر مولد رسول الله ﷺ في يوم إهلاك الفيل: »وذلك قوله تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، السورة كلها«.

ويغيب نص الآية أو الإشارة إليها عند مؤرخين آخرين كما فعل الأزرقي (ت ٢٥٠هـ) في أخبار مكة، واليعقوبي (كان حيا سنة ٢٩٢هـ)، حين أورد حادثة الفيل في أثناء كلامه

عن ولد إسماعيل بن إبراهيم ﷺ من دون أية إشارة إلى هذه الآية.

٢ - الحضور المنهجي: حضرت سورة الفيل عند بعض مؤرخي السيرة حضورا آخر غير الحضور النصي يمكننا أن نسميه الحضور المنهجي، بمعنى أن المؤرخ حينما يعرض قصة الفيل يستحضر أيضا سورة الفيل في ذهنه فيكون منهجه في سرد الواقعة هو استجابة لبعض الأسئلة التي تطرح بشأن السورة، بمعنى أنه ينحى منحىً تفسيريا واضحا في ذكر الحادثة، فلم يكتف ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) -مثلا- بإيراد نص السورة كاملا حينما بدأ كلامه عن سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة بل نلاحظ في منهجه أنه أجاب عن أسئلة تتعلق بالآية من قبيل: ما معنى الأبابيل؟ وما معنى السجيل؟ وما أشكال الطير؟ وما هيأة الحجارة التي تحملها؟ وما عددها؟ وكيف تحملها الطير وتقذفها؟ وهل نجا منها أحد؟ إلخ ... من الأسئلة التي تثيرها السورة في مخيلة المتلقي وتحتاج إجابة. وهذا المنهج اعتمده من قبله ابن إسحق (ت ١٥١هـ)، وابن هشام والسهيلي (ت ٥٨١هـ)، وغيرهم حينما رووا قصة الفيل.

ثانيا: عام الفيل:

ورد عام الفيل في مرويات السيرة النبوية بتقاويم عدة، إذ ذكر البلخي أنه ﷺ ولد عام الفيل وهو سنة ٨٨٢ للإسكندر الرومي، وسنة ٢١٦ من تاريخ العرب الذي هو من حجة الغدر، وسنة ٤٤ من مُلك أنو شروان بن قباذ.

ويتفق المسعودي (ت ٣٤٦هـ) مع البلخي في أنه ﷺ ولد عام الفيل على التقويمين الإسكندري والعربي، لكنه يذكر أن عام الفيل يقابل سنة ٤٠ من ملك أنو شروان.

وقد أورد محمد بن أحمد المكي الحنفي (ت

٨٥٤هـ) روايتين شاذتين عن العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، حيث قال: «قال مقاتل: كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة وقيل: بثلاثين، وقال عبيد بن عمير والكلبي: كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة، وقال الآخرون: بل كانت وقعة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وعلى هذا أكثر العلماء وهو الأصح».

ثالثا: يوم الفيل:

ثمة مفهومان ليوم الفيل: المفهوم الأول المتعلق بالزمن وهو مفهوم واضح الدلالة، والمفهوم الثاني المتعلق بالواقعة، إذ كان العرب يعبرون عن المعركة أو عن الحادثة التي تحدث في يوم ما بيوم كذا، مثل يوم ذي قار ويوم الجمل ويوم النهروان ويوم الزابوقة وغيرها، وكان لكلا المفهومين حضور وغياب في مرويات السيرة النبوية.

١ – اليوم الزمني: ذكر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) أن قدوم الفيل وحبس الله إياه للنصف من المحرم قبل مولد رسول الله بشهرين إلا أياما، أما المسعودي فذكر أن قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم. وقال البلخي: «ولد ﷺ بمكة عام الفيل بعد قدوم أبرهة بخمسين ليلة، وكان أول يوم من المحرم عام الفيل يوم الجمعة وقدم الفيل يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم».

أما ابن حبان فانفرد بأن جعل يوم الفيل هو نفسه يوم ولادة النبي ﷺ فقال: »ولد يوم إهلاك الله تعالى الفيل بإرسال الطير الأبابيل في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين».

إن الأجواء العامة لروايات مولد النبي ﷺ لا توحي بأنه ولد يوم الفيل، إذ لا توجد أية إشارة إلى ذلك في

تفاصيل وقائع الولادة، لذلك لا مجال للأخذ برواية ابن حبان في هذا الشأن.

٢ – اليوم بمعنى الواقعة: يمكن للمتأمل في عملية سرد مؤرخي السيرة النبوية لواقعة الفيل أن يقف على تجليات عدة، منها:

• الربط بين الحادثة وولادة النبي محمد ﷺ كما فعل ابن حبان حين ذكر أن ولادته ﷺ كانت في يوم إهلاك الله تعالى أصحابَ الفيل، وهذه إشارة وإن كانت غير مباشرة إلى الربط الغيبي بين إهلاك أصحاب الفيل وحماية بيت الله الحرام، و ولادة الرسول ﷺ، في إشارة إلى بركة تلك الولادة.

• بيان مكانة بني هاشم، إذ يكشف منهج المؤرخ في إيراد الحادثة إشارة ما، من قبيل الإشارة إلى مكانة بني هاشم وعظم أمرهم كما يظهر من إيراد البلاذري مثلا لقصة الفيل ضمن فقرة نسب بني هاشم في كتابه أنساب الأشراف، كذلك أوردها المسعودي في سياق الحديث عن عبد المطلب بن هاشم بما يشير إلى أنه كان بطل تلك الواقعة، بل إن المسعودي فسر احترام أبرهة الحبشي لعبد المطلب بأنه كان بسبب استدارة نور النبي ﷺ في وجهه. في حين نجد الدينوري قد أورد الواقعة بوصفها حادثة بارزة في العهد الساساني.

والحقيقة أن شخصية عبد المطلب كانت حاضرة في روايات قصة الفيل، مما يؤكد التفات المؤرخين جميعا لمكانته، مع أن موقفه تجاه الحادثة –كما يظهر في السرد– لا يمكن تفسيره بغير إيمانه بالله تعالى بأعلى مستويات الإيمان، كما يظهر من حديثه المعروف مع أبرهة بشأن الإبل.

وفيما حاول أغلب المؤرخين تبرير تخلي قريش عن عبد المطلب في محنته بمواجهة خطر أبرهة الحبشي، إذ لجأوا إلى الجبال وتركوه بمفرده بأن ذكروا –أي المؤرخون– أنه هو من أمرهم بذلك، نجد اليعقوبي يكسر هذا التبرير بقوله صراحة: «ولما

قدم أبرهة ملك الحبشة صاحب الفيل مكة ليهدم الكعبة تهاربت قريش في رؤوس الجبال فقال عبد المطلب: لو اجتمعنا ودفعنا هذا الجيش عن بيت الله. فقالت قريش: لا بد لنا به! فأقام عبد المطلب في الحرم وقال: لا أبرح من حرم الله ولا أعوذ بغير الله ...» .

وذكر اليعقوبي في هذا الصدد أن خبر ما أصاب جيش أبرهة قد وصل إلى عبد المطلب وإلى قريش عن طريق عبد الله والد النبي ﷺ الذي خرج يتقصى خبرهم ثم جاء بالبشرى لقريش.

وفيما عدا رواية اليعقوبي فإن عموم الروايات لم يخرج عن إطار مراعاة ما يسمى بالسيادة القرشية التي تتجلى في مناهج سائر مؤرخي العصر الإسلامي بصور عدة لا مجال لذكرها الآن.

كذلك فإن تفاصيل خبر الواقعة ينم عن شيء من التفكير الأسطوري، مثل كلام نفيل مرافق أبرهة مع الفيل والهمس في أذنه مما جعل الفيل يمتنع عن الهجوم على الكعبة، أو الروايات التي تحدثت عن بقاء روث الفيل حتى أيام المبعث، وقد شاهده قباث بن أشيم.

ومن اللافت للنظر في هذا الجانب اضطراب الروايات بشأن نسق السنوات الواردة بشأن الحادثة، إذ يورد صاحب الأغاني مثلا، تواريخ حكم ملوك اليمن الأحباش بالشكل الآتي:

- حكم أرياط ٢٠ سنة.
- حكم أبرهة الأشرم ٢٣ سنة.
- حكم يكسوم بن أبرهة ١٩ سنة.
- حكم مسروق بن أبرهة ١٢ سنة.

وبما أن مسروقاً قتل على يد الفرس الذين جاء بهم

سيف بن ذي يزن بعد مولد النبي ﷺ بسنتين فيظهر الاضطراب الكبير في الروايات من حيث إن عام ولادة النبي سيكون بعد ما يقارب الثلاثين سنة من حادثة الفيل التي أنهت حكم أبرهة الحبشي، ولذلك فإن رواة حادثة الفيل وتاريخ ملوك الحبشة عموما لم يحسنوا ضبط الحوادث ونقلوها على علاتها.

رابعا: الإشكالات المثارة حول الحادثة:

وردت في المصادر الإسلامية بعض النصوص التي تدل على أن ثمة إشكالات قد أثيرت بشأن حادثة الفيل، ولاسيما في العصر العباسي، فقد نقل بعض المفسرين ومنهم الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تشكيك مَن أسماهم بالملاحدة والفلاسفة لهذه الحادثة، وقال أبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة: »ولو لم ينطق القرآن به لكان في الأخبار المتواطئة والأشعار المتظاهرة في الجاهلية والإسلام حجة وبيان لشهرته وما كانت العرب تؤرخ به فكانوا يؤرخون في كتبهم وديونهم من سنة الفيل وفيها ولد رسول الله ﷺ فلم تزل قريشا والعرب بمكة جميعها تؤرخ بعام الفيل ثم أرخت بعام الفجار ثم أرخت ببنيان الكعبة ...« .

وردَّ محمد بن أحمد الحنفي (ت ٨٤٥) على أحد إشكالات المشكلين، فقال: «فإن قيل: كيف منع أصحاب الفيل من الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حين أحرقها ونصب المنجنيق عليها؟! فالجواب: إن فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه، وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع آية لتأسيس النبوة ومجيء الرسالة. وأجاب الزمخشري عنه بأن الحجاج ما قصد التسليط على البيت وإنما تحصن ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسليط به أبرهة

فعل به ما فعل على أن رسول الله ﷺ قد أنذر بهدمها فصار الهدم آية بعد أن كان المنع آية ...» .

وقد ورد عند الشيخ الطوسي بيان لحكمة الله تعالى في حادثة الفيل، قال: «وقصة أصحاب الفيل من الأدلة الواضحة والحجج اللائحة على الملحدين ومن أنكر الصانع؛ لأنه لا يمكن نسب ذلك إلى الطبيعة ولا موجب كما تأولوا الزلازل والرياح والخسوف وغير ذلك مما أهلك الله به الأمم؛ لأنه ليس في الطبيعة إقبال طير بأحجار وتقصد أقواما دون غيرهم حتى تهلكهم بما ترميهم به، ولا تعدى إلى غيرهم، بل ذلك من أوضح الأدلة على أنه من قبل الله تعالى. وليس لأحد أن يضعف ذلك وينكر الخبر به، لأن النبي ﷺ لما قرأ على أهل مكة هذه السورة كانوا قريبي عهد بالفيل، فلو لم يكن كذلك ولم يكن له أصل لأنكروه، فكيف وهم أرخوا به كما أرخوا ببنيان الكعبة وموت قصي وغيره ...» .

ومن اللافت للنظر أن الإشكالات التي أثيرت في تلك العصور كانت تستهدف البعد العَقَدِيّ للحادثة دون أصل وقوعها كما يشكل المشكلون اليوم، مع أن تأكيد المفسرين على أن أصل وقوع الحادثة غير قابل للتشكيك لشهرته يحمل في طياته احتمال تعرضه هو الآخر لإشكال ما. لكن الدفاعات التي قُدِّمت من المفسرين -على أية حال- كما يظهر من النصوص آنفة الذكر ولاسيما نص الشيخ الطوسي، تعدّ حججًا قوية لا يمكن تفنيدها من الناحية المنطقية.

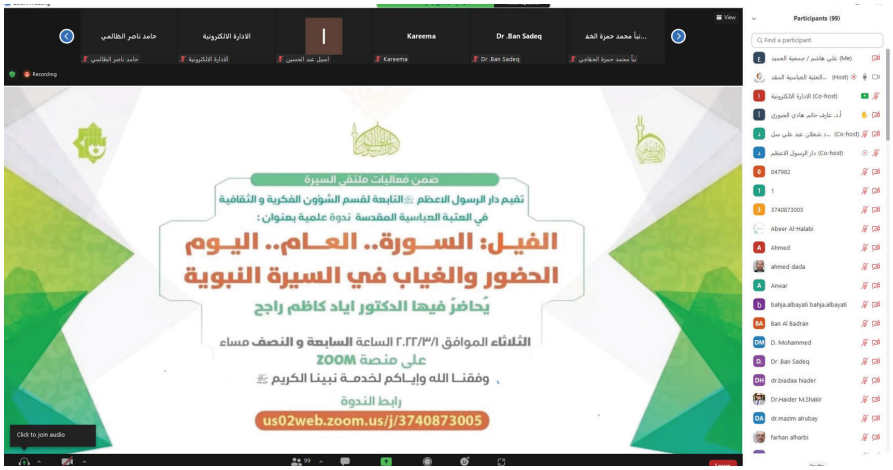
ضمن فعاليات ملتقى السيرة
تقيم دار الرسول الاعظم ﷺ التابعة لقسم الشؤون الفكرية و الثقافية
في العتبة العباسية المقدسة ندوة علمية بعنوان :
الفيل: السورة.. العام.. اليوم
الحضور والغياب في السيرة النبوية
يُحاضرُ فيها الدكتور اياد كاظم راجح
الثلاثاء الموافق ٢٠٢٢/٣/١ الساعة السابعة و النصف مساء
علي منصة ZOOM
وفقنا الله وإياكم لخدمة نبينا الكريم ﷺ
رابط الندوة
us02web.zoom.us/j/3740873005
Click to join audio

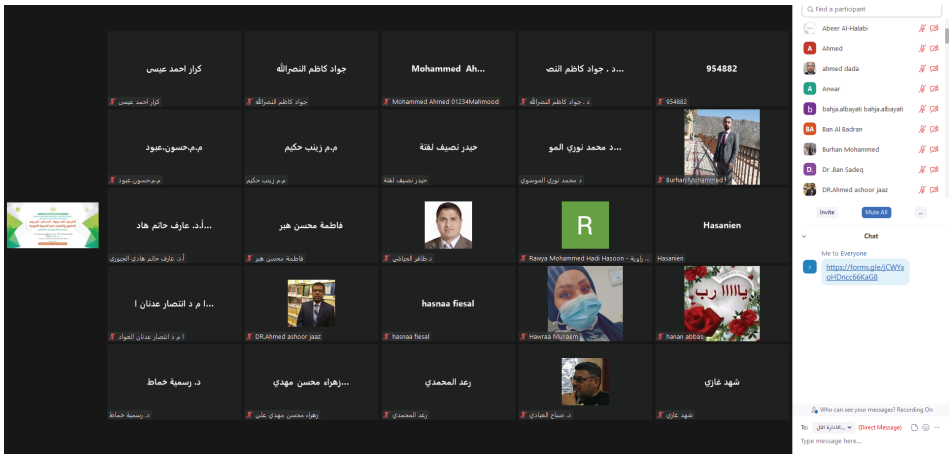

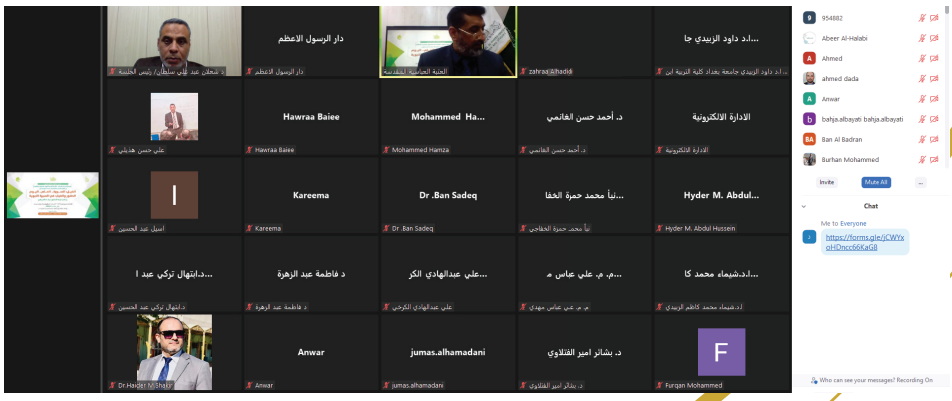

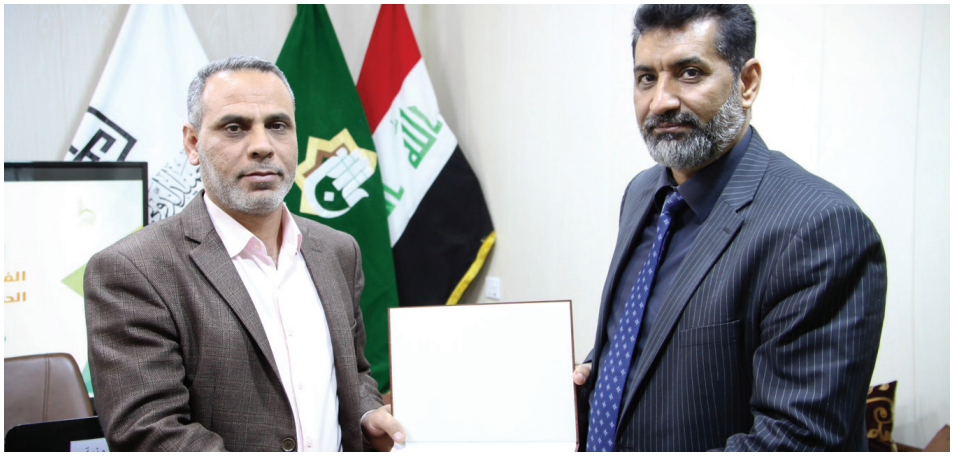

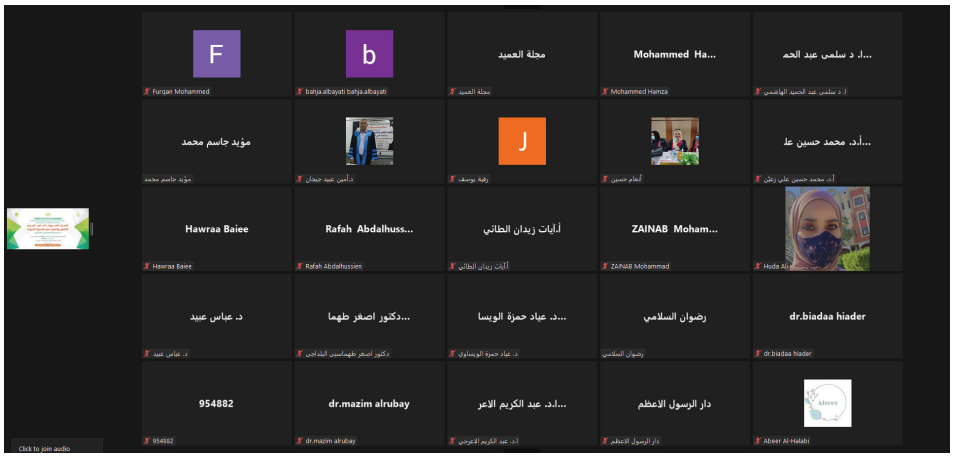
مجلة العميد
Mohammed Ha...
...ا. د سلمى عبد الحم
مؤيد جاسم محمد
...أ.د. محمد حسين عل
Hawraa Baiee
Rafah Abdalhuss...
أ.آيات زيدان الطائي
ZAINAB Moham...
د. عباس عبيد
...دكتور اصغر طهما
...د. عياد حمزة الويسا
رضوان السلامي
dr.biadaa hiader
954882
dr.mazim alrubay
...ا.د. عبد الكريم الاعر
دار الرسول الاعظم
Click to join audio

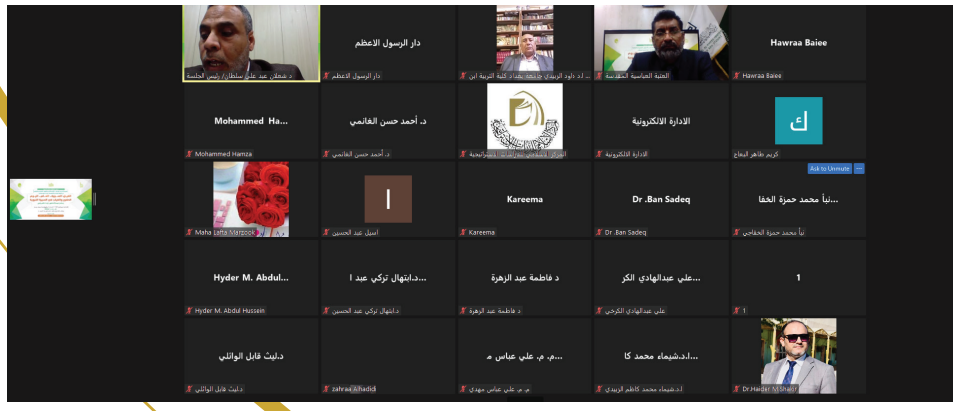
دار الرسول الاعظم
Hawraa Baiee
Mohammed Ha...
د. أحمد حسن الغانمي
الادارة الالكترونية
Kareema
Dr .Ban Sadeq
...نبأ محمد حمزة الحفا
Hyder M. Abdul...
...د.ابتهال تركي عبد ا
د فاطمة عبد الزهرة
...علي عبدالهادي الكر
1
د.ليث قابل الوائلي
...م. م. علي عباس م
...ا.د.شيماء محمد كا

٢
الندوة الثانية

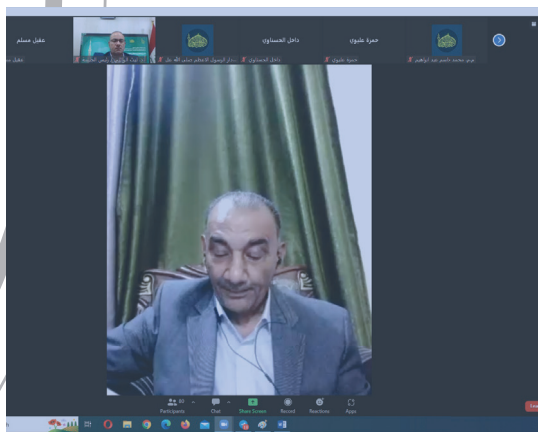

- السيرة النبوية للدكتور جواد علي قراءة في المنهج والسياق الثقافي
- المحاضر:
  د.عباس عبيد علوي العامري

- ادارة الندوة:
  أ.د.ليث قابل الوائلي

- عقدت الندوة افتراضيا على منصةzoom
  يوم الجمعة الموافق 2022/6/10م

وقد اخترت هذا العنوان لما يمثله الدكتور جواد علي – رحمه الله– من تطور كبير في مسار كتابة السيرة منذ بدئها في العهد الاموي او بعض الروايات تقول منذ عهد الصحابة الى تاريخ إصدار الدكتور الطبعة الأولى من كتابه في العام ١٩٦١ ، فقد اعتمد منهجًا علميًّا أكاديميًّا عقليًّا حديثًا غير مسبوق ، ورجع إلى مصادر مخطوطة ونادرة، وسار ضمن خطة منهجية تقوم على تمحيص الخبر وتدقيقه وتقديم الأدلة والمحاجة العقلية ، كل هذا الثراء العلمي شفعه أيضا بلغة مكتوبة تخاطب جميع الناس أعنى الطبقة الوسطى منهم برشاقة وتبسيط وبلاغة أيضًا ، ولا عجب فالدكتور جواد علي علم من أعلام العرب الذين نفاخر بهم، وشهرته في العالم العربي والغرب أيضا تفوق شهرته في العراق للأسف، فهو معروف بمنجزه ومنجزه يشهد له، ويكفي أن نتذكر كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لنعرف جواد علي .

الخطوات التي ستسير عليها هذه المحاضرة أو الورقة البحثية هي ثلاث خطوات:

الأولى: هي التعريف الموجز السريع بالدكتور جواد علي .

ثانيا: المنهج الذي اعتمده في كتابة السيرة النبوية.

ثالثا– مقاربة للنسق الثقافي الذي أُنتجت فيه السيرة، تبيان أثر السياق الثقافي في نص السيرة لان جواد علي صاحب مشروع ، وما زلنا نأمل أن تكتمل أجزاء السيرة ،لأنه صدر الجزء الأول منه بداية الستينات ولم تكتمل وربما لم تظهر .

إذن الخطوة الأولى من البحث التعريف بجواد علي، هو جواد علي وكفى، لم يكن يحب أن يقدم اسمه حتى بلقب دكتور، فهو متواضع للغاية ،ولد في الكاظمية عام ١٩٠٧

كان ذكيًا شغوفًا بطلب العلم ، أكمل دراسته في الكاظمية ثم انتقل وأكمل دراسته في الأعظمية ، وأكمل دراسته بعد ذلك في دار المعلمين العالية، وأصبح معلما وهو طالب ألّف كتابًا في التاريخ ، وأصبح معتمدًا ، ثم إن الدكتور – رحمه الله ـ حصل على بعثة إلى المانيا لدراسة التاريخ الإسلامي، وقضى هناك سبع سنوات ، وحصل على شهادة الدكتوراه بجامعة هامبورغ ١٩٣٧ ،وحصل على درجة الشرف والمرتبة الأولى، وكتب أطروحته عن المهدي المنتظر –عجل الله فرجه ـ وسفرائه الأربعة ، وبعد ذلك عاد إلى العراق وعاد الى وظيفته ، وسجن مدة بعد اشتراكه بأحداث ال١٩٤١ وقاتل الإنكليز بشجاعة ودفع ثمن ذلك سنوات في السجن، وبعد ذلك عُيِّن وأصبح أستاذًا في دار المعلمين وسكرتيرًا للترجمة والتأليف في وزارة المعارف ثم عضوًا في المجمع العراقي والعربي في القاهرة في العام ١٩٥٦ وأستاذًا في دار المعلمين العالية ،وربّى أجيالا من طلبة العلم في قسم التاريخ ، وحاضر في كلية الآداب في الدراسات العليا ، وأرسلت له جامعة هارفرد لتجعله أستاذا زائرًا وكذلك جامعة لندن لعامين متتاليين كتب الكثير من المصنفات أشهرها تاريخ العرب قبل الإسلام بثماني مجلدات ، ثم المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام بعشرة مجلدات وأضاف لها مجلدين من الفهارس التفصيلية الرائعة، وأشفع ذلك بكتاب عن أصنام العرب طبع في الستينات، وبعد ذلك ألّف كتاب الصلاة في الإسلام وكتبًا عديدة يصعب حصرها الآن. هذه المعلومات التي تشبه البرقية جمعتها من كتاب أعلام الأدب في العراق الحديث لمير بصري الطبعة الأولى .

الآن اسمحوا لي أن أقدم عرضًا لنص السيرة، وهو يكمل مشروعه كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ثم بدأ

مشروعه الثاني تاريخ العرب في الإسلام الجزء الأول منه هو السيرة النبوية طبع أول مرة في عام ١٩٦١ في مطبعة الزعيم ب ١٩١ صفحة، يتكون من أربعة فصول ، الأول عنوانه خطورة تاريخ الإسلام ، وكيفية تدوينه. وهو موضوع مهم جدًا. كيف تتم كتابة السيرة من مصادر متعددة وموثوقة بعيدًا عن الانحياز الطائفي أو غير ذلك؟ وهو فصل مهم ما يقرب من ٣٠ صفحة ،اما الفصل الثاني مكة المكرمة في ٤٠ صفحة قدّم فيه جهدا تفصيليا بكل ما يتعلق بمكة وتاريخها قبل الإسلام وفي أثنائه ، أما الفصل الثالث فيمتد من صفحة ٧٥ الى ١٢٣ بعنوان من الميلاد الى المبعث . والمضامين معروفة من العنوان حيث يتناول حياة النبي من الميلاد الى المبعث ، والفصل الرابع بعنوان محمد رسول الله يمتد من ١٢٣ الى صفحة ١٧٥ ويتناول بدايات البعثة الإسلامية حتى زواج الرسول وبدء دخول المسلمين وبدء نشر الدعوة .

أنتقلُ الآن إلى الفقرة الثانية الخاصة بمنهج جواد علي في كتابة السيرة النبوية ، وسأوزعها على فقرات

الفقرة الأولى اعتماد قواعد البحث العلمي التاريخ المجرد ربما للمرة الأولى ـ أنا أزعم ذلك – بهذه المنهجية ، فهدف المؤرخ أن يقدم التاريخ كما حصل بالفعل بالإلمام بالتفاصيل وربطها السياقات التي تحكمها ، وتقديم دراسة نقدية تحليلية للروايات وصولًا للاستنتاج والحكم لاسيما هو تأثر بالمدرسة الألمانية حيث درس هناك وكان له منهج اختطه عالم تاريخ مشهورهناك هو ليوبولد فون رانكة .

ما منهجه وما أسسه ؟ مهمة المؤرخ وصف الصادر من المستمد من المنابع أو ما يسميه الموارد الأساسية . كيف يفهم جواد علي التاريخ؟ يقول : إن مهمة المؤرخ أن يرسم

التاريخ كالرسام ويصوره كالمصور. كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ يقول: رسم الماضي كما رسخ في ذهني مع توضيح وتقريب دون زيادة أو نقصان وتجنب شديد في إبداء الآراء الشخصية أو إعطاء الأحكام بل التاريخ في رأيي رسم الماضي وتشخيصه وعرضه من غير تحزب أو تعصب أو إبداء رأي او حكم تاركًا أمر الأحكام إلى القراء يكونون آراءهم على النحو الذي توصل اليه اجتهادهم من قراءة الموضوع . كيف يتم ذلك ؟ يقدم لذلك خطوات:

أولا : دراسة السند لكل خبر ورواية تاريخية، والتعرف إلى آراء العلماء في موثوقية أولئك الرواة .

ثانيا: الدراسة العلمية للأخبار والروايات داخليًّا من داخل الرواية، وخارجيًّا من خارجها لمعرفة مدى انطباق مضمونها مع روح الإسلام والقران الكريم ،وهذه قضايا أساسية تمامًا . وكذلك توافقها مع الحديث النبوي وروح عصر الرسول.

ثالثا : دراسة النص من الناحية اللفظية لمعرفة إن كان ينطبق على أسلوب الزمن الذي ترجع إليه الرواية . وجواد علي يركز باستمرار على فكرة الدراسة اللغوية فهو كان ضليعًا من اللغة يعرف اللغة العربية معرفة ممتازة والانكليزية والألمانية والفرنسية بل حتى اللغات الشرقية ويقرأ الخطوط القديمة، كان موسوعة في فهم اللغات القديمة والخطوط ، وهذه تحسب له وللمؤرخ الذي يريد أن يصل إلى نتائج دقيقة غير مسبوقة .

ومن منهجيته فكرة الحياد والموضوعية ، لاشك أنها أول خطوة يتطلبها البحث الاكاديمي على نحو عام ، ومنها البحث المتعلق بالتاريخ خصوصًا ؛ لأن التاريخ يؤثر في حياة الناس، وهي مهمة ليست بالسهلة؛ لذلك يقول جواد علي : في الوقت

الذي ندعو فيه إلى وجوب دراسة تاريخ الإسلام دراسة نقد وتحليل ، نعرف أن تطبيق ما نقوله ليس بالأمر السهل ، فالإنسان مهما سعى للتخلص من عواطفه ستبقى العواطف كامنة موروثة. ولا نشعر بتأثيرها أحيانًا كثيرة ، والمؤرخ كائن من لحم ودم تؤثر فيه العواطف، هذا من جانب . أما من جانب آخر هناك صعوبة أخرى يقول : إن الرأي العام له سلطة ، ليس من السهولة أن تجابه الرأي العام برأي مختلف تعودوا عليه بالموروث من قبل الأجداد والاباء . ثم يختم خلاصة فلسفته ورؤيته وعمله في السيرة وغير السيرة فيقول : وبعد فأنا في كتابي هذا ، الجزء الأول تاريخ العرب في الإسلام السيرة النبوية لست بداعية ولا مبشرًا بدين من الأديان، ولا أعتقد أن اليهودية والنصرانية والإسلام بحاجة الى رأيي ومساعدتي وتأييدي ، فالأديان كلها من منبع واحد مكملة لما قبلها من نبوات ورسالات، وأن الإسلام ديانة سماوية جاءت متممة للديانتين المذكورتين وأنها وحي من الله.

ثالثا: التأصيل للحادثة التاريخية، وهذه قضية منهجية واضحة؛لأن حوادث التاريخ ولاسيما الكبرى منها ليست حدثًا عابرًا ، لابد له من مقدمات وإرهاصات ثم نمو ثم تشكل وبواعث وحيثيات تنتج نتائج قد تكون كبيرة تغير مجتمعا بأكمله. فمن المؤهل لكي يقدم لنا دراسة مثالية لفهم بعثة الرسول الكريم ؟ من خلال دراسة سابقة عن تاريخ العرب قبل الإسلام ليس هناك أحد مؤهل مثل الدكتور جواد علي – رحمه الله – ؛ لأنه فصل الحديث في كتابه السابق ولم يكن يجد حاجة لإعادته كثيرا الا بالقدر الذي يضيف شيئا يتعلق ببعثة الرسول أو قبيلته أو أجداده أو عمه أبي طالب أو جده عبد المطلب،وهو أصّل لهم وردّ على شبهات كثيرة؛ لأن ضرب تاريخ الرسول الكريم ﷺ هو ضرب للإسلام جميعًا .

النقطة المنهجية الرابعة هي: النقد العلمي لكتابات المستشرقين عن السيرة النبوية ، يركز الدكتور على إشكاليتين رئيستين في قراءة تاريخ الإسلام وقراءة سيرة الرسول هما: أولاً شيوع الإسرائيليات وهي المرويات التي تنقل عن أهل الكتاب والتي وجدت مكانًا في المدونة التاريخية والتراثية والأدبية أيضا ،وكان لها خطرها وامتدت إلى المتأخرين. وثانيًا أهواء المؤرخين لأسباب مختلفة . فكيف واجه هو هذين الإشكالين من خلال نقده لحركة الاستشراق؟ ، وبصراحة كانت حركة الاستشراق جزءًا من صراع الغرب الاستعماري القوي الطامع لغزو العالم ونهب ثرواته والشرق المتأخر الرازح تحت سلطة العثمانيين، فأعاد تمثيل الشرق برمته ووجد أنّ ضرب الشرق إنما يحصل من خلال ضرب الأساس الذي يستند اليه وهو الرسالة المحمدية وشخص الرسول الكريم ـ ﷺ. وهذا سبب جرحًا للذات العربية حيث إن شخصية الرسول الكريم ليس من الهين أن تواجه بسيل من الاتهامات وتقف عاجزًا عن الرد على هذه الاتهامات، ونحن نعرف أن المستشرقين لم يتركوا كتابًا فيه خبر ضعيف أو شاذ أو غريب إلا جمعوه ورتبوه ولمعوه وأبرزوه ؛ لكي يكون هو الحجة التي يستندون اليها في هدم الإسلام والنيل من شخصية الرسول الكريم ﷺ .

وأنا أقول بثقة: إن أبرز كاتب عربي مسلم واجه الكتابات الاستشراقية هو جواد علي، وردّ عليها بأسلوب علمي أكاديمي بلا منازع ؛لأنه يقابل الحجة بالحجة والفكر بالفكر والدليل بالدليل وبدون عاطفة ، ويستند الى المراجع نفسها التي يستند إليها المستشرقون حيث يقول منذ الصفحات الأولى للسيرة : لقد غالى كثير من المستشرقين في كتاباتهم للسيرة النبوية ،وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك،

وتتبع العثرات حتى طال ذلك اسم الرسول الأعظم، ولو تمكنوا لشككوا في وجوده أصلا .وطريقة مثل هذه بالاستعانة بالشاذ الغريب وتقديمه على المشهور تعد معولاً هدامًا ، و تمثل رأيا يثير الشك في نفوس أهل التاريخ والمتطلعين لفهم سيرة الرسول الأعظم ﷺ . ماذا فعل ؟بالحقيقة رجع إلى كتاب شبينغلر الذي صدر في عام ١٨٥١ وكتابه هذا أقل ما يقال عنه إنه مغرض ومليء بالحقد تجاه الإسلام وشخصية الرسول ، ورجع إلى كتاب الكاتب الإيطالي الأمير ليون كيتاني، وكان أميرًا ثريا فجمع من المخطوطات ما لم يحصل عليه أحد، وترجموا له كل ما يتعلق بشخص الرسول وكتب ٥٠٠٠صفحة أغلبها مليء بالترهات وأخطاء المؤرخين، وجعل منها سندًا للنيل من شخصية الرسول الأعظمﷺ. فمن يرجع إلى هذه المصادر أو يحصل عليها؟ وحده جواد علي من بين كل المؤلفين رجع إلى تلك المصادر وردَّ عليها بالدليل. اذن إذا كان المستشرق يتعامل مع سيرة الرسول بالعاطفة كيف يتعامل المسلم حيث لم يكن الكتاب بعيدين عن العاطفة أيضا في كتابتهم السيرة.

يقول جواد علي: يجب أن نرجع إلى المصادر الأصلية المعاصرة للرسول أو القريبة منه،والتي فقدت أغلبها حتى مؤلفات العصر الاموي بقيت منها شذرات في بطون الكتب . فرجع جواد علي إلى كتابات أخرى قريبة من ذلك العصر حيث مخطوطات كتبها رهبان بيزنطينيون أو رومان كانوا قريبين من عصر الإسلام ، فوجد أنه يمكن أن يفيد البحث التاريخي منها مثل ما كتبه يوحنا نيقي ويوحنا الخلقدوني ويعقوب الرهاوي ويوحنا الدمشقي . ولم يرجع أحد قبل جواد علي إليها ، وكلها كانت تتحدث عن أبناء هاجر الذين انتصروا على

الساسانية وانتصروا على الديانة المسيحية؛ لأنهم ابتعدوا عن عبادة عيسى كما كانوا يعتقدون. وهذه المصادر على أهميتها قليلة ومنحازة ؛ لأنها تقف موقفا مضادًا من الإسلام . فما الحل؟ يرى الدكتور أن المصدر الأكثر صحة الذي يضيف لنا الكثير في كتابة السيرة يتمثل بالقرآن الكريم. وكذلك يعدد لنا المصادر التي يمكن الرجوع إليها، ويضيف أن أهم مصدر يمكن الرجوع اليه هو القران الكريم .

الفقرة الخامسة التي تتعلق بمنهجية الدكتور جواد علي، هي التحقيق والتثبت العملي، هو يبدأ السيرة بالحديث عن مكة وأجداد الرسول ، وقد اختصر هذا الحديث ؛لأنه سبق أن تحدث عن ذلك في كتابه السابق . فيذكر غزوًا قام به أبناء هاجر الإسماعليون ، وبذلك يقدم دليلاً جديدًا يمثل أول خبر يرد في كتاب قديم عن قبيلة قريش ، ويؤكد لنا ما روته الأخبار والسير لاحقا عن النسب الإسماعيلي لها وللرسول الكريم في الصفحة ٣٩، وتحرك قريش في البادية وانتقالها الى مكة في عهد قصي بن كلاب، ثم يثبت أن اسم قصي من الأسماء العربية الشمالية ويسجل أن ثمة كتابة على قبر لشخصً اسمه ملكو بن قيسو أي مالك بن قصي بنى معبدا في سنه ٤٧ للميلاد ، وتحقيق الاسم مهم للغاية حيث كان جواد ضليعا باللغة العربية واللغات ، وأهمية التحقيق بالاسم تعود إلى أن المستشرقين سيشككون لاحقًا حتى باسم الرسول المصطفى ، فقد قالوا: إن اسم الرسول قُسُم او عبد لصنم وانه لم يسمَّ بمحمد الا بعد انتقاله للمدينة ؛لأنه عرف أنه في الديانات الأخرى هناك ما يسمى بالمخلص فأخذه من ذلك، حتى اسم أبيه شككوا فيه ، فكيف يرد جواد علي؟ يرد بسلسلة من الأدلة فهو يعود إلى المصادر التي رجع إليها المستشرقون فيقول مثلا هم يرجعون

إلى يوحنا الدمشقي وهو يكره الرسول وهو متقدم ويسميه بمحمد ولم يسمه باسم آخر، ويرجع إلى عقد صلح الحديبية الذي كتبه الرسول الكريم مع سهيل، وذكر فيه :هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. واعتراض سهيل على إثبات كلمة رسول الله ولم يعترض على اسمه . ويرجع إلى ما تعارف لدى قريش من ذم الرسول وإطلاق لفظ مذمم عليه وهو عكس محمد ، ويرجع إلى القران الذي قلنا هو دليله في فهم السيرة والقرآن يذكر اسمًا واحدًا هو محمد وأحمد مشتق منه ،أما طه وياسين فيرى أنها حروف مقطعة . ورد أيضا على المشككين بنسب عبد الله والد الرسول الكريم أو أجداد الرسول إذ جعلوهم من اليهود أو قومية أخرى؛ لأن بعض المستشرقين استكثر على العرب أن يظهر من بينهم شخصية بهذه العظمة والقيم الأخلاقية التي لم تسبق أبدا . وهذه المرة الوحيدة التي أنا شخصيا ألحظ فيها تغيّر لغة جواد علي المهذبة ، ربما لأن التهمة كبيرة حيث يقول واصفًا رأي المستشرق: انه رأي بغاية السذاجة والسخف.

الطريف أنه يقول إن قصي بن كلاب جدّ الرسول لم يكن زعيما سياسيا أو قبليا فقط بل كان زعيمًا دينيًا أيضًا ، وجواد علي يقف مرة ثانية ليواجه آراء المستشرقين الذين شككوا بشخصية قصي بن كلاب ، واعتبروها شخصية أسطورية غير موجودة قال ذلك في صفحة ٤٢ .

ويناقش بجدارة أيضا ظاهرة الأحناف، وهم مجموعة من المتبتلين الذين تركوا عبادة الأصنام. والمستشرقون شرقوا وغربوا للاستفادة من هذه الظاهرة، وقالوا :إنها ليست جديدة، وإن محمدا لم يأتِ بجديد والحنيفية معروفة في مجتمع مكة . ويرد ذلك بالقول إن الرسول نمط تعاطيه قبل الإسلام وبعده يختلف

عن الأحناف ، الأحناف سلبيون بينما هو أرشد قومه إلى عبادة الله وودعاهم إلى ترك عبادة الأصنام في حين اكتفى الأحناف بأنفسهم ولم يدعوا إلى الحنيفية ، هو كما يقول جواد علي : صاحب فكر ودين ورسالة ومكلف وحيًّا بوجوب الدعوة إلى الله وإبلاغ رسالته إلى العالمين .

وبما انه اتخذ من القران مصدرًا أساسيًّا في فهم السيرة النبوية الشريفة فقد عاد للآيات المباركة لفهم الحياة بمكة ،واستطاع أن يرسم لنا تصورًا واضحًا عن طبيعة المجتمع المكي من خلال سور القران المباركة التي تتحدث عن مساعدة السائل والمحروم ، وعن عدم أكل مال اليتيم وقتل البنات خشية الإملاق، واجتناب الفواحش غيرها من القضايا الكثيرة، وهي في مجملها تساعد على فهم طبيعة الحياة آنذاك .

كيف كتب جواد علي السيرة ؟ ما أسلوبه في الكتابة وعرض المادة ؟ لنلاحظ لغته ؛لأنه من الصعوبة أن تكتب وتحاجج بطريقة علمية مع الحفاظ على أدبية اللغة وسموها وبساطتها لتصل إلى أكبر عدد من المتلقين ، دعونا نقرأ نصًّا لكي نفهم لغة الكتابة . وقال عن رحيل عبد المطلب ومشاعر الرسول يومها ، يقول: » وشاءت الأقدار أن تزيد في آلام النبي وفي أحزانه فما كاد يبلغ الثامنة من عمره حتى فجع بموت جده وهو على أبواب الثمانين لقد كان عبد المطلب على شيخوخته وتقدمه في السنِّ يرعى محمدًا رعاية الوالد القوي القدير، وكان البقية الباقية من والده عليه فلما توفى شيّعه مع المشيعين إلى قبره باكيًا سائرًا خلف سريره المحمول عليه إلى موضع قبره في الحجون، وظل يذكر جده طوال عمره ويترحم عليه» .

ويقول في نص آخر يلامس طفولة الرسول أو صباه ليبين هل كان فتى عاديا كما تذكر لنا بعض المصادر ، يقول :

« لم يكن في طبع محمد وسجيته ميل إلى لهو وعبث فلم يقع له ما يقع فيه لُداتُه من ارتياد مجالس الأنس والطرب ،وقد كان ينفرمن الغناء والموسيقى فلم يحضر حتى مجالس الطرب التي تقام بالأفراح وتحييها القيان، ويغني فيها المغنون. ذكر أنه أراد مرة أن يسمر بمكة كما يسمر الفتيان ، وكان بأعلى مكة يرعى الغنم فتركها عند فتى من لداته وقصد عرسًا فيه غناء فلما بلغ أدنى دار من دور مكة حتى غلبه النعاس فنام ولم يوقضه الا مس الشمس له ، وتكرر ذلك مرتين» ويورد قول الرسول فيه : «والله ما هممت بغيرهما مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة»

موضوع آخر هو رفض خويلد لزواج ابنته خديجة من الرسول محمد بسبب فقره ويتمه ،يقول خديجة أعدت ما يشبه الحيلة ، إذ دعت نفرًا من قريش لوليمة ، وكان ابوها معهم فأطعمتهم وأشربتهم الخمرة فلما سكر أبوها . قالت له بمحضر من هؤلاء: إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه ففعل، ولما صحا أخبرته فأنكر ذلك ،وقال لها :لا أزوجك من يتيم أبي طالب فقالت له :لا يليق بك أن تتراجع ،فقد قلت ذلك أمام ملأ من قومك من قريش، أفلا تستحي أن تسفه نفسك أمامهم ، وهي حادثة يذكرها أغلب المستشرقين ، يريدون بذلك أن يضربوا بيت النبوة . يرفض جواد علي هذه الرواية ، ويقدم أدلته الراجحة. فيقول: إن خويلد بن أسد والد خديجة كان ببساطة قد توفي قبل حرب الفجار، ويرجع في ذلك للواقدي وغيره وإن عمها عمرو بن أسد هو من زوجها للرسول.

ينساب بعد ذلك إلى بدء تفكير الرسول الأعظم -ﷺ في التفكر والتدبر في أمر الإله الواحد فيقول: « لقد حمله تفكيره هذا في خلق السماوات والأرض وفي أحوال

قومه على السهر في الليالي لاسيما في أواخرها متأملاً الخلق ناظرًا الى السماء فاحصًا ما فيها باحثًا عن القوة المهيمنة عليها والخالق الذي أوجدها والنظام البديع المسير لها ، دأب على هذا قبل الوحي، فكان الرسول يشعر قبل النبوة أن عليه رسالة وواجبًا تجاه قومه ،وكلما تقدم في السن ازداد شعوره بذلك وازداد يقينًا برسالته وبوجوب هداية قومه وإرشادهم ، وهذا الشعور هو الذي حمله على التحنف والابتعاد عن عبادة الاصنام وعدم مشاركته قومه في احتفالاتهم بأعيادهم لما لها بعلاقة بالوثنية والأوثان» . ذكر هذا في ١٢٠ من كتابه السيرة.

نصل إلى الفقرة الأخيرة التي تتعلق بأثر السياق الثقافي في كتابة السيرة النبوية حيث إن السياق الثقافي في نص السيرة على نحو عام سيتأثر حتمًا. ما هو السياق الثقافي؟ هو حصيلة المكونات الثقافية التي تشكل في مجموعها بيئة يكون لها أثر في نمط التفسير في السلوك والتعاطي والفهم وفي النظام الأخلاقي، وهذا يوجب على الباحثين الإلمام بها لكي نفهم النصوص المدروسة ، والسياق الثقافي يؤثر في النصوص والأفراد جميعا لكن بطبيعة الحال تبقى هناك استثناءات للأفراد المتميزين وهو ما نسميه بالفروق الفردية في العملية التعليمية . كيف عاش جواد علي في ظل هذا السياق الثقافي وأنتج نص السيرة ؟ هو بطبيعة الحال ولد ١٩٠٧- ١٩٠٨ حيث يظهر الدستور العثماني ويحقق للعراقيين وشعوب المنطقة نسبة من الحرية في مناخ ظهور جرائد ومطبوعات وغير ذلك، وفي عام ١٩٢١ يعاصر جواد علي نشوء الدولة العراقية بعد دخول الإنكليز إلى بغداد ١٩١٧ وقد تربى كما نقلنا في وسط علمي في الكاظمية المقدسة المليئة بالكتب التاريخية والدينية ،وهذا يعطيه ثقلاً معرفية بكتب

التاريخ العربي والديانة الإسلامية...ولاحقا كما قلنا درس في الكاظمية والأعظمية هذا ساعده أن يبتعد عن فكرة العصبيات المذهبية أو الطائفية، ويجعل منه شخصا منفتحا وقابلا للآخر ؛ لذا كان أكثر أصدقائه من رجال الدين المتنورين مع أنه أكاديمي درس في الغرب،فأستاذه المرجع محمد حسين كاشف الغطاء وهبة الدين الشهرستاني وكذلك الشيخ محمد بهجت وغيرهم، وهذا مكّنه لاحقا من أن يعمق هذه المواهب او الميزات حينما في درس في الغرب وتنور هناك، فقد أرسل الكثير إلى الخارج للدراسة ذهب علي الوردي ومصطفى جواد ومحمد سوسة وأيضا جواد سليم و محمد مكية ، كل العلماء ذهبوا وحينما عادوا وجدوا فرصة ليبنوا بلدانهم ويكتبوا ويبدعوا ،وكانوا أصحاب مشاريع حيث هناك فرق بين شخص يحمل شهادة عليا ثم يضعها ويصبح موظفًا بينما المثقف يواصل مشروعه ، ونرى كيف ظل جواد علي حريصا على المواصلة، وكيف نجح هذا المشروع ؛لأن البيئة كانت تساعد على ذلك فقد كانت هناك حركة ترجمة وإصدار كتب وتأسيس كليات ومدارس جديدة وزيادة عدد المتعلمين وحرية نسبية ونمو اقتصادي بمستوى ما ، هذه الحقبة هي التي أنتج فيها جواد علي كتاباته التاريخية: تاريخ العرب قبل الإسلام وأيضا نص السيرة الذي بدأه بنهايات الفترة الملكية وظهر ١٩٦١ . لماذا توقف بعد ذلك؟ لأنه السياق الثقافي سيء ، ومع ذلك فان جواد علي قدم شيئا مختلفا ؛لأن نصوص السيرة المتميزة في العراق قليلة وربما هو من بدأها بخلاف ما حصل في مصر فكانت سابقة في الكتابة عن السيرة منها على هامش السيرة وفي منزل الوحي وفقه السيرة وعشرات من الكتب. أما في العراق فربما كان نمط الكتابات تقليديا وقليلا، بدأه جواد علي في مشروعه الذي لم يتم

أو ربما تم ولم يظهر . لم يتم لان السياق الثقافي تغير ؛لأن ستصعد أحزاب ايديولوجية ، كل حزب يحمل تفسيرا لكل شي ومنها التاريخ فالقوميون لهم قراءة خاصة والماركسيون لهم قراءة، وسيتم فرض ترك القراءة بالقوة ؛ لذا توقف مشروع علي الوردي في علم الاجتماع ، وعبد الرزاق الحسني في كتابة تاريخ العراق السياسي وتوقف شاكر مصطفى سليم؛ لأنهم سيخوضون في مناطق تبدو حساسة وأيضا توقف جواد علي . وأنا أعتقد أن جواد علي لم يتوقف بل كتبها وظلت محفوظة، هناك أخبار تقول إن إجزاءً موجودة عند أبنائه في الخارج ، نتمنى أن يظهر هذا الأثر قريبا . ختاما كانت السيرة سيرة متميزة قدم لنا تاريخ العرب بطريقة جميلة حيادية وغير مسبوقة، وهو في ختم حديثه أكد على فهم السيرة من خلال القران الكريم.

ضمن فعاليات ملتقى السيرة
تقيم دار الرسول الاعظم ﷺ التابعة لقسم الشؤون الفكرية و الثقافية
في العتبة العباسية المقدسة ندوة علمية بعنوان :
السيرة النبوية الشريفة للدكتور جواد علي:
قراءة في المنهج والسياق الثقافي
يُحاضرُ فيها الدكتور عباس عبيد علوي العامري
يوم الجمعة الموافق 2022/6/10 الساعة التاسعة مساء
على منصة ZOOM: us02web.zoom.us/j/3740873005
وفقنا الله وإياكم لخدمة نبينا الكريم ﷺ

عقيل مسلم
داخل الحسناوي
حمزة علوي
Recording
Find a participant

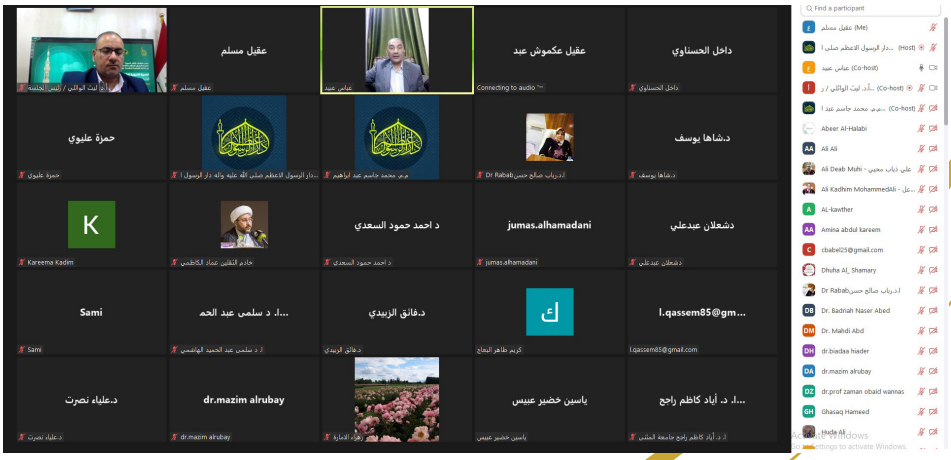
عقيل مسلم
عقيل عكموش عبد
داخل الحسناوي
حمزة علوي
د.شاها يوسف
د احمد حمود السعدي
jumas.alhamadani
دشعلان عبدعلي
Sami
د.فائق الزبيدي
l.qassem85@gm...
د.علياء نصرت
dr.mazim alrubay
ياسين خضير عبيس
Find a participant

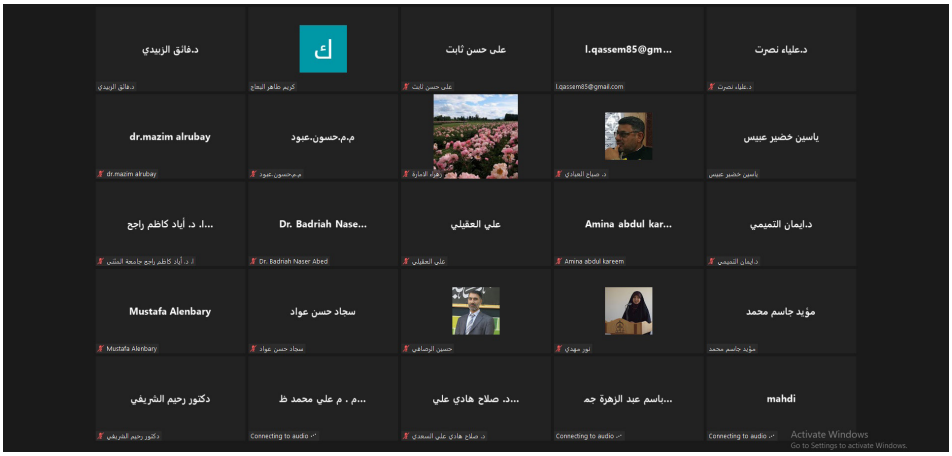
د.قائق الزبيدي
على حسن ثابت
l.qassem85@gm...
د.علياء نصرت
dr.mazim alrubay
م.م.حسون.عبود
ياسين خضير عبيس
Dr. Badriah Nase...
علي العقيلي
Amina abdul kar...
د.ايمان التميمي
Mustafa Alenbary
سجاد حسن عواد
مؤيد جاسم محمد
دكتور رحيم الشريفي
mahdi
Activate Windows

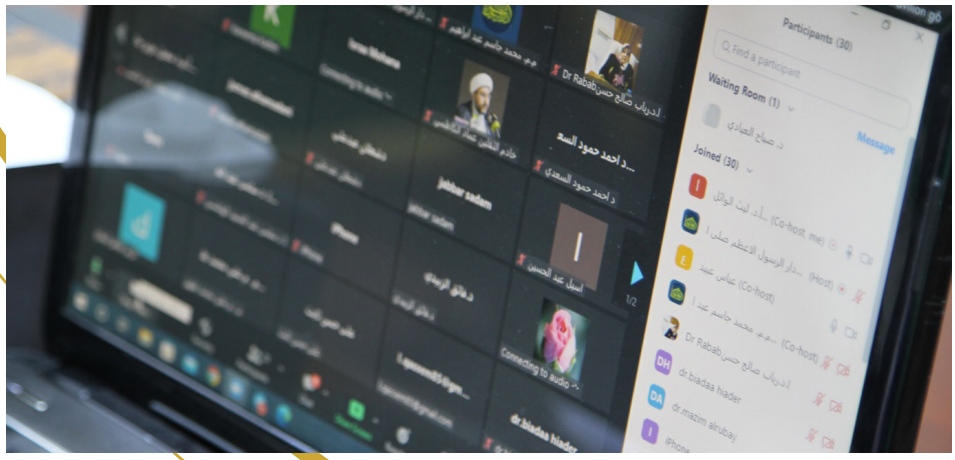
Participants (30)
Waiting Room (1)
Joined (30)
Message

٣
الندوة الثالثة

- رسول الله ﷺ في نهج البلاغة

- المحاضر:
  الشيخ زمان الحسناوي

- ادارة الندوة:
  د.فالح الأسدي

- عقدت الندوة في قاعة الإمام الحسن عليه السلام
  يوم الجمعة الموافق2022/10/14م

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على حبيب قلوبنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

السلام عليكم، أيها الأحبة ورحمة الله وبركاته. نبارك لكم هذا اليوم، وهذا الميلاد المبارك لسيد الخلق ﷺ. وإذا كان المتكلم في حق عليٍّ عليه السلام لا يفيه حقه، حتى قيل في المتكلم فيه: إن أعطاه حقّه غالى وإن بخسه حقه قصّر، فالحالة الوسطية صعبة المنال عندما نتكلم على أمير المؤمنين عليه السلام فما عسى أن نقول في سيد الخلق ﷺ؟! ، وعليٌّ نفسُه يقول -والرواية في الكافي الشريف-: «أنا عبد من عبيد محمد ﷺ».

ما عسى الإنسان أن يقول في سيد الخلق ﷺ؟ وعيسى عليه السلام كلمة من كلمات الله تعالى: {كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} (النساء/ ١٧١) كما يعبر القرآن الكريم، والقرآن الكريم نفسه في مورد آخر يقول: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} (الكهف/ ١٠٩). وعيسى عليه السلام كلمة من كلمات الله التي لم يعطِها البحرُ حقّها في الواقع، فما بالك بسيد عيسى وسيد الأولين والآخرين ﷺ؟ !، سيد ما عدا الله عز وجل.

وهناك أبيات عظيمة للأزري الكبير -رحمة الله عليه- يقول فيها:

قلب الخافقين ظهرًا لبطن *** فرأى ذات أحمد فاجتباها

فاض للخلق منه علم وحلم *** أخذت منهما العقول نهاها

وغدت تنشر الفضائل عنه *** كل قوم على اختلاف لغاها

حاز من جوهر التقدس ذاتا *** تاهت الأنبياء في معناها

وخطباء المنبر عادة عندما يقرأون هذا البيت يبدلونه؛ مراعاة لمستويات الناس العلمية، فيقولون: (باهت الأنبياء في معناها)، لكن الأزري يقول:

حاز من جوهر التقدس ذاتا ❊❊❊ تاهت الأنبياء في معناها

إنّ الكلام عن الرسول ﷺ صعب، ولهذا أحببت أن أسلط ضوءًا على نهج البلاغة؛ لنرى ونسمع ما يقوله علي عليه السلام في أخيه ﷺ، ولا نجد أفضل من يتكلم عن رسول الله بعد القرآن الكريم من علي عليه السلام فضلا وقربا وفصاحة ومعرفة وعلما؛ ولهذا أحببت أن أسلط ضوءًا على بعض الكلمات العلوية المرتبطة برسول الله، والتي تصنَّف عادة في تصنيفات نهج البلاغة بما قاله علي عليه السلام في النبوة العامة، والنبوة الخاصة المرتبطة بسيد الخلق ﷺ.

ولما رجعت إلى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ولاسيما التي جمعها الشريف الرضي (رحمة الله عليه) وجدت كمًّا هائلًا من الكلمات العلوية في سيد الخلق، فأحببت أن أعرض لبعض هذه الكلمات العلوية في رسول الله حتى نسيطر على البحث، وإلا فالكلام كثير في ما قاله علي عليه السلام في رسول الله، ويحتاج إلى أبحاث مفصلة ومؤلفات خاصة.

وقد وجدت أنّ عليًّا عليه السلام يركز كثيرًا في خطبه، ويكرر مسألة اختيار الله تعالى لحبيبه المصطفى ﷺ، فهو من خير الأسر في تاريخ هذا الكون، وعترة سيد الخلق ﷺ هي خير العتر، عبَّر عنها القرآن الكريم في سورة إبراهيم بأنها شجرة طيبة، وهكذا فسرت في روايات المعصومين عليهم السلام، وحتى في التراث الوارد عند غيرنا، مثلا قول النبي ﷺ: يا علي أنا شجرة طيبة، أنا أصلها وأنت فرعها، وفي رواية: فاطمة فرعها، وأبناؤك أغصانها. والحديث وارد بتعبيرات مختلفة، لكن أصل الحديث موجود في كتبنا بكثرة وبأسانيد كثيرة.

وفي كتب غيرنا وارد أيضا بأسانيد متعددة، هذه الشجرة نفسها في سورة النور: {شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} (النور/ ٣٥).

والروايات التي في مصادرنا ومصادر غيرنا أنها شجرة النبي وآله، شجرة إبراهيم الخليل التي منها سيد الخلق محمد وعترته (صلوات الله عليهم أجمعين).

ومما قاله عليّ عليه السلام في هذا الجانب، وتترتب عليه لوازم وآثار كثيرة سأشير إليها -إن شاء الله تعالى- ما ذكره في الخطبة ٩٤ من نهج البلاغة، إذ يتكلم في البداية على النبوة العامة فيقول: (فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرّ). وهذا يؤكد عقيدة الشيعة الإمامية بأن آباء الأنبياء وأجدادهم موحدون، وقد عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله: {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} (الشعراء/ ٢١٩)، هذا يؤكد ما نعتقده بأنهم جميعا أطهار كرام، وكما يعبر عنهم العلامة المجلسي: (أوصياء أنبياء). ومن دون هذا الاعتقاد تخلو الأرض من حجة، يقول تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (الإسراء/ ٧١). هذا كلّه يدل على عدم خلو الأرض من حجة لله تعالى، وكذلك يقول عزّ وجلّ: {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (الرعد/ ٧)، هذه الخمسمائة سنة أو الستمائة سنة من عيسى عليه السلام إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إن كان أجداد النبي أو آباؤه ليسوا أهل عصمة وليسوا حججا، فمن إذن الحجة على الخلق؟ والحجج ليس بالضرورة أن يكونوا أنبياء أو أئمة، فقد خلت الأرض من الأنبياء لفترة مع أن القرآن الكريم تدل كثير من آياته على أن الأرض لا تخلو من حجة، فمثلا مريم عليها السلام حجة، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} (المؤمنون/ ٥٠)، وفي تراث المعصومين كلمة (آية) تعني حجة، إذ لا تخلو الأرض من حجة، مع أنّ مريم لم تثبت نبوتها ولا إمامتها، لكنها حجة من حجج الله تعالى.

وقوله: {تقلبك في الساجدين} أشار إليه أمير المؤمنين ﷺ في قوله: (فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ). وقد حرم الله تعالى على موسى ﷺ المراضع فقال: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ} (القصص/ ١٢)، وهو تحريم تكويني، فلماذا حرمت عليه المراضع؟.

إذا كان موسى حرمت عليه المراضع، فكيف بسيد موسى الرسول الأعظم؟! كيف تكون أمه؟ هل تكون كافرة أو يكون والده كافرًا، -والعياذ بالله- ؟ هل يكون جده كافرًا وهو الذي كان يفتخر به في الحروب؟! ، فيقول:

أنا النبي لا كذب *** أنا ابن عبد المطلب

ونحن نقول في زيارة الحسين ﷺ: (أشهد أنك كنت نورًا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة)، وهو ما عبر عنه أمير المؤمنين بقوله: «تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

بعد ما تكلم عن الأنبياء من آدم الى عيسى ﷺ، يقول: «حتى أفضت» يعني: انتهت كرامة الله إلى محمد ﷺ، «فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً»، وكما يعبر القرآن الكريم عن منبت مريم بقوله: {وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} (آل عمران/ ٣٧). فالله سبحانه استخرج النبي محمدًا ﷺ من أفضل المعادن على مستوى القلب والقالب والظهر والبطن أيضا، وعلى مستوى العالم المادي والمعنوي. فأحد المفسرين يقول: إن الإنسان مكون من جانبين أحدهما نظري والآخر عملي، ويقول: من انفرادات رسول الله في القرآن أنه عبر عن جانب النبي النظري بأنه عظيم، وعبر عن جانب النبي العملي بأنه عظيم، وهذه من انفرادات

رسول الله في القرآن، حيث إن القرآن لم يتكلم على نبي آخر بهذه الطريقة غير نبينا محمد ﷺ، فالجانب النظري ورد في قوله تعالى: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (النساء/ ١١٣). وأما الجانب العملي فقد جاء في سورة القلم: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم/ ٤)، في الجانبين يعبر عن النبي بأنه عظيم، فنحن أمام أي شخصية عظيمة؟! .

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَعَزِّ الْأَرُومَاتِ» أي الأصول، «مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ»، هذه التي أصلها ثابت وفرعها في السماء «نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ». واختلف شُرّاح نهج البلاغة هل الحرم مكة أو هو العز والكرامة؟ . «وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ»، (وفرعها في السماء) كما يعبر القرآن، «وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ»، النبي ﷺ يعبر عن فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها «ثمرة فؤادي»، وأمير المؤمنين يعبر عنه بأنه (ثمر لا ينال)، حيث إن الثمر أخلاقه أو علومه أو كل ما فعله ﷺ وبقي إلى اليوم. فرحم الكلمة يتسع لكل هذه المعاني وزيادة، كما إن آيات القرآن رحمها يتسع لما اختلف فيه المفسرون من نزول القرآن وإلى يوم القيامة ، فـ(ظاهره أنيق وباطنه عميق).

وهناك مورد آخر في نهج البلاغة، أذكره بإيجاز، يقول في صفة الرسول والعلماء: «وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ»، وهذا الكلام المحكم لعلي عليه السلام كل شيء ينافيه في مصادر المسلمين لا بد أن يترك ويهمل، فهو يقول: «جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ»، ولكن الوارد في تراث غيرنا لم يعتمد هذا الأصل الثابت.

أما الجانب الآخر الذي يركز عليه عليّ عليه السلام في نهج البلاغة كثيرا في خطبه فهو الجانب العملي لرسول الله الذي عبر عنه القرآن الكريم بـ(الخلق العظيم)، الجانب السلوكي والقيمي للنبي صلى الله عليه وآله يبينه أمير المؤمنين بشكل واضح في الخطبة ١٦٠ من نهج البلاغة في عظمة الله تعالى، ذكر فيها مجموعة من الأنبياء، فذكر إبراهيم والذين معه، وذكر النبي صلى الله عليه وآله أيضا بشكل واضح، إذ يقول: «فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى»، ثم يقول: «قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً»، النبي ما كان يملأ فمه من الدنيا بل يأخذ من الدنيا ما يبقيه على قيد الحياة فقط، وهي مسألة مهمة جدا. وورد في الأثر: أنه نحن نأكل لنعيش وغيرنا يعيش ليأكل. وهناك فرق بين الاثنين، يأخذ من الدنيا ما يحتاجه فقط ليؤدي مهمته فيها. لما دخل عليه سلمان باكيا، فقال له: لَمَ تبكي؟ قال: تألمت على فاطمة عندما قامت رأيت في عباءتها كذا مكان مرقع، وهذه نساء اليهود ترفل بالذهب والفضة، فقال له النبي: نحن لو أردنا فإن الدنيا تحت تصرفنا لكننا لم نردها. نعمرها ولكن لا ننغمس فيها بحيث ننسى الآخرة، يقول: «وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى»، وفي مورد آخر من نهج البلاغة يقسم أمير المؤمنين الناس إلى أربعة أقسام، من هذه الأقسام بعض الناس يصنع من نفسه زاهدًا؛ لأن الدنيا لم تعرض عليه لكن لو عرضت عليه الدنيا والسلطة يتحول إلى شيء آخر، فبنو إسرائيل عندما كانوا مظلومين كيف كانوا، وعندما عرضت لهم الدنيا كيف تحولوا، يقول بعض العلماء: فتنة السراء أخطر من فتنة الضراء. والإمام أمير المؤمنين يشير إلى هذه القضية، إذ يقول: إن النبي عرضت عليه الدنيا بكل مفاتنها ومع ذلك بقي زاهدًا فأبى أن يقبلها، «وَعَلِمَ

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ»، إلى آخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه. هذا الكلام يعطيك صورة عن رسول الله وصورة مهمة في حياتنا اليومية وله ربط كبير بواقعنا وحياتنا فإن »لكم في رسول الله أسوة حسنة».

ومورد آخر في نهج البلاغة يقول أمير المؤمنين فيه: «وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلاَئِكَتِهِ»، لاحظ في جميع الموارد يقول: (أعظم)، ويجب الالتفات إلى الكلام، حيث كل الصفات للنبي تكون هي الأفضل، خلقها الله له بنظام الأحسن، حتى الملك الذي يقرن بالنبي ﷺ هو الملك الأعظم. وأنتم تعلمون أن هنالك ملائكة وهناك مقربين، وفي الروايات الشريفة: «إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان». يعني ليس كل نبي أو ملك. ورد في بعض الروايات الشريفة في معراج النبي ﷺ لما عرج به كان جبرائيل معه، يقول: لما رأى جبرائيل إسرافيل لاذ برسول الله، ولكن إسرافيل كان قد جلس بين يدي النبي ﷺ كما يجلس العبد بين يدي مولاه، هذا الذي يلوذ منه جبرائيل، هذا الذي ينفخ في الصور فيقوم الموتى من زمن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة بنفخة واحدة بإذن الله تعالى فأي ملك هذا؟! . إذن، فالملائكة درجات ومنازل ومهام، وكل ملك له مهمة خاصة.

يقول: »ولَقَدْ قَرَنَ الله به ﷺ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه».

تعرفون أن أسماء الله وصفاته بعضها أعظم من بعض، حتى آيات القرآن بعضها أعظم من بعض، فالسيد الطباطبائي يعبر عن بعض الآيات فيقول: هذه آية من غرر آيات

القرآن، وأيضا سور القرآن بعضها أعظم من بعض، كالحمد ويس وآية الكرسي وبعض الآيات التي شخصها الأئمة. ورأيت بعض العلماء يقول: بعض أسماء الله وصفاته التي ظهرت في أنبيائه وبينها القرآن الكريم أعطي لسيد الخلق أكملها وأفضلها، فالقرآن يركز على رحمة الله الرحمانية ورحمته الرحيمية، والاثنتان أعطيا لسيد الخلق، العامة في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء/ ١٠٧)، والخاصة في قوله عزّ من قائل: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة/ ١٢٨)، حتى الصفات الإلهية التي ظهرت في سيد الخلق وتجلت أيضا تختلف عن غيره.

يقول ﷺ أيضا في مطلب آخر وهو من المطالب المهمة التي رأيتها لسيد الخلق في النهج عن فضل رسول الله، يقول مولى الموحدين: «إِلَى أَنْ بَعَثَ الله سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ الله ﷺ لإِنْجَازِ عِدَتِه وَإِتْمَام نُبُوَّتِه»، والكلمة المهمة يقول فيها: «مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ»، وهذا تعبير كبير جدا، وكأنّ عليّا ﷺ يشير إلى سورة آل عمران، ولو لم يكن لرسول الله إلا هذه الآية في سورة آل عمران لفاق بها الأولين والآخرين، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} (آل عمران/ ٨١)، أول صفقة في تاريخ الكون صفقة التوحيد والنبوة الخاصة لرسول الله، أما صفقة التوحيد ففي قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} (الأعراف/ ١٧٢). وأما صفقة النبوة الخاصة ففي قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ

لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}، فجميع الرسل تحت رايته وجميعهم تبع دينه وتحت لوائه وجميعهم منقادون له وجميعهم يسيرون خلفه. من هو أبو الزهراء؟ !! حقيقة لا نعرف ماذا نقول؟ كم أعطى رب العالمين داود؟ أعطاه الله فصل الخطاب، والجبال التي تسبّح معه والطيور تسبّح معه، لكن رب العالمين عندما يريد أن يبين فضله على داوود يقول: {وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} (الإسراء/ ٥٥)، هذا الكتاب الذي هو الزبور لم يحصل عليه داود إلا بالواسطة التي تشير إليها الآية: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ}، نصرته من خلال تعريف أقوامهم به وتهيئة الناس إليه، أو كما قال أئمتنا عليهم السلام ينصرونه بالرجعة والرأيان صحيحان، والجمع أكمل كما يقال. {وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران/ ٨١- ٨٢). فأي منزلة عظمى لرسول الله ؟! .

ورد «عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»، وهذا وارد عندنا وعند غيرنا. وورد عن الإمام الهادي عليه السلام: «اِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنْتَهاهُ» كما في الزيارة التي أجمع عليها علماء الشيعة أنها أصح الزيارات سندا وأعلاها مضمونا ودلالة كما يقول الشيخ محمد تقي المجلسي صاحب روضة المتقين والد الشيخ محمد باقر صاحب البحار، وملاذ

الأخبار، ومرآة العقول، وعين الحياة، وغير ذلك من الكتب القيمة للشيخ محمد باقر.

«مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده»، إلى آخر كلام الإمام علي ﷺ، وهذا الكلام ليس كلاما خطابيا وفيه طابع المبالغة، أو هو كلام شاعري، ولكنه سيد الخلق عجيب بصفاته، وهذه حقائق قرآنية أو علوية أو واردة عن معصومين.

إنّ الكلام عن رسول الله كثير وكبير، ويحتاج إلى عقول جبارة لفهم هذه الحقائق التي بينها المعصومون في سيد الخلق ﷺ.

آخر شيء أقوله حتى أختم المحاضرة، يقول أيضا الإمام علي ﷺ في سيد الخلق ﷺ، من الخطبة ٩٢ في نهج البلاغة: «سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ»، وهذا اقتباس سواء أكان الاقتباس مباشرًا أم غير مباشر، وفي دعاء الندبة نقرأ: «يا ابن السرج المضيئة»، ولهذا أئمتنا يقولون في الآية: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} (النور/ ٣٥)، يقولون: إنها نزلت في رسول الله وعترته، حتى في روايات غيرنا وليس في رواياتنا فقط، ولكن نحن نرتب أثرًا وبعض غيرنا لا يرتب أثرًا مع الأسف. فهذه المعاني واردة في تراث المسلمين بشكل عام.

وفي سورة النور نفسها قال تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ} (النور/ ٣٦)، قال أحدهم لرسول الله: بيوت مَن؟ قال: الأنبياء، ويقوم أبو بكر يقول: بيت علي منها؟ قال: من أفاضلها.

وغير ذلك مما قاله الإمام علي ﷺ في نهج البلاغة. وهذه كلمة مهمة وأخيرة أقولها، من الخطبة ٢١١ يقول: «أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِي الِاصْطِفَاءِ»، وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى

آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران/ ٣٣)، فالإمام علي يقول: الله قدم محمدا في الاصطفاء على آدم وعلى الجميع، الله اصطفى محمدا قبل آدم. وهذا معنى: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين»، وهذا معنى: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام/ ١٦٣).

أما غيره، فنوح عليه السلام قال: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (يونس/ ٧٢)، وإبراهيم عليه السلام قال: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ} (البقرة/ ١٢٨). أما رسول الله فأول المسلمين، وهذا معنى: {هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى} (النجم/ ٥٦)، فالنبي في عالم الملك من النذر الأخيرة، وآدم من النذر الأولى وإدريس كذلك، لكن معنى نذير من النذر الأولى هو أول الخلق، وإلّا فنبينا بحسب عالم الملك من النذر المتأخرة فهو خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، يعني أنه قدمه في الاصطفاء كما يعبر الإمام علي عليه السلام.

والزهراء عليها السلام ذكرت ذلك في خطبتها فقالت: «وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ»، يعني: قدمه في الاصطفاء. وهذا يدل على حقيقة واحدة أن سيد الخلق هو محمد صلى الله عليه وآله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٤

الندوة الرابعة

- ميزان تصحيح السيرة

- المحاضر:
  سماحة السيد محمد حسين العميدي

- ادارة الندوة:
  أ. د. عادل نذير الحساني

- عقدت الندوة يوم الجمعة
  الموافق 2022/12/30م

الأمر الأول: دواعي الدعوة إلى إعادة كتابة السيرة.

إنَّ الدعوة لتصحيح السيرة النبوية وإعادة كتابتها من جديد تُفعَّل بين وقت وآخر، والغرض من ذلك هو إعادة التحقيق في وقوع بعض الحوادث والمواقف في السيرة، التي لا تخلو من بعض الملاحظات، كعدم انسجامها مع الواقع، أو تعارضها فيما بينها، هذا هو الغرض الأساسي لهذه الدعوى، وقد يكون هناك أغراض أخرى تبررها، وتبعث على الحماس للقيام بها.

وبغض النظر عن تلك الأسباب وتعدد الأغراض لإعادة كتابة السيرة، فإن المنهج العلمي السليم يقتضي الاستمرار في تحرير العلوم وتحديثها مع استمرار نضج الشخصية العلمية للإنسان وتطور أدوات البحث والمعرفة، فإن إعادة النظر في مسائل العلوم منهج إنساني عام، وليس غريباً عن الأجواء الإسلامية كذلك، فإن التفسير والفقه وأصوله، وعلوم الدراية والرجال، وعلوم الحديث وشروحه، وكذلك اللغة والأدب، مازال التأليف والدراسة وتنقيح المسائل فيها يحظى باهتمام مختلف الأوساط العلمية في البلاد الإسلامية،على الرغم من أنَّ النصوص التي تتعلق بها تلك البحوث واحدة، من كتاب وسنة وشعر وأدب، وتوارث رأي العلماء الأوائل فيها.

وهكذا هي الحال في مجال اللغة والأدب، بل في مجال العلوم الطبيعية كالطب والهندسة والفلك.

فلا ينبغي التكلف في إيجاد دواعي لكتابة السيرة مرة بعد أخرى، وهذا لا ينفي وجود داعٍ خاص لإعادة كتابة السيرة، بالنظر إلى ما لحق شخص النبي ﷺ من حيف وصل إلى حدِّ التعدي على مقامه الكريم، وتهميش مواقفه الاخلاقية النبيلة، من الذين تصدوا

لكتابة السيرة،ممن كان يتزلف إلى السلطات الحاكمة التي كانت يصب في مصلحتها أن تكتب السيرة على وفق مقياس معين، وتزييف بعض الوقائع، وحشد بعض الموضوعات المكذوبة فيها، وإهمال وقائع أخرى تتقاطع مع مصالح الحاكم ومواقفه، وهذا حديث ذو شجون لا نريد الخوض فيه هنا، لأنَّ الإنصاف يقتضي أن نسوق بعض الأمثلة لإثبات ذلك لئلا يكون الكلام فيها محض اتهام من غير بينة، والمقام لا يسع ذلك، وقد تكفل بعض الإخوة الباحثين في هذا المجال لبيان ذلك تفصيلاً.

ولكننا نقول: إنَّ ذلك الداعي لا ينبغي أن يؤثر في مطلب إعادة كتابة السيرة لما بيّنا أنّه مطلب علمي مستقل عن أيِّ وجهة نظر أخرى في واقع السيرة وتصويب ما حُكي فيها أو تخطئته.

الأمر الثاني: السيرة وعلم السيرة

إنَّ قوام كل علم مجموعة من المسائل الكلية، تدور حول موضوع معين لغرض معين، ولا مجال الآن للخوض في تنقيح ذلك وتفصيل الكلام فيه، وإنما نأخذ هذه المسألة على نحو التسليم بما هو متعارف بين أهل العلم عنها.

وبناءً على ذلك يجري البحث عن وسم بعض المجالات البحثية بالعلم، كالتفسير والسيرة والتاريخ والأثار، وغير ذلك.

فإنّ هذه المجالات تتناول البحث عن قضايا شخصية خارجية، فالتفسير يبحث عن معنى النص القرآني المعين في الخارج بما بين دفتي المصحف، والسيرة النبوية تتناول وقائع شخصية تتعلق بشخصية النبي ﷺ، والتاريخ يتناول وقائع شخصية كذلك تتعلق ببلد ما، أو موقعة ما، أو غير ذلك.

والبحث الذي يدور حول قضية شخصية لا ينطبق عليه عنوان العلم، لأنَّ المسائل المبحوث عنها ليست كلية، ولا تمثل قوانين عامة.

ويمكن الجواب عن ذلك بأنَّ تلك الأبحاث وإنْ كانت في مجملها شخصية ولكنها لا تخلو من وجود بعض المسائل الكلية، التي تُطبق على صاحب السيرة، مثل قضية أنَّ كل نبي معصوم، وكل وحي نزل على الأنبياء فهو إما بالتكليم المباشر، أو بواسطة رسول، أو بالرؤيا، وأمثال ذلك.

ولكن في هذا الجواب تأمل، فإن تلك المسائل ليست من السيرة، وإنما هي من علم الكلام، وإذا وردت في السيرة فهي من باب المقدمات لها التي يُستفاد منها في السيرة، لا من مسائلها. على أنَّ وجود بعض المسائل الكلية لو سُلّم لا يقتضي ذلك صيرورة ذلك المجال علماً، بل يكون القياس بحسب أكثر المسائل أو أغلبها، وأغلب مسائل السيرة شخصية.

والجواب الصحيح: أنّ السيرة ليست علماً، وإنما هي مجموعة من المسائل الشخصية يتم ترتيبها وفق تسلسل زمني معين، من ولادة صاحب السيرة إلى نهاية حياته، يسرد فيها الوقائع التي جرت لصاحب السيرة ومحطات من حياته وفق الغرض المرسوم لسردها.

فصاحب السيرة إنْ كان شخصية عسكرية يتم التركيز على الحروب والمعارك التي شارك فيها، وهكذا يتم انتخاب المحطات وفق طبيعة تلك الشخصية كأنْ تكون شخصية علمية أو سياسية أو اجتماعية وما شابه ذلك.

ومع كون السيرة نفسها ليست علماً، لا يمنع من توقفها على عدة علوم، هي أصول السيرة، وبذلك يكون هنالك سيرة هي السرد الشخصي للحوادث والوقائع، وعلوم السيرة التي هي أصول للسيرة وقواعد عامة تكون ميزاناً للسيرة الصحيحة الموافقة للمنهج العلمي فلا تكون سرداً محضاً كيفما كان، يتساوى فيها ما يدلي المتطفل والعالم.

وذلك العلم الذي يضم مجموعة من المسائل

المستوردة من عدة علوم تكون أصلاً ومبدأ للسيرة، وهكذا هي الحال بالنسبة للتفسير، فمسائله شخصية موضوعها الآية الفلانية والبحث يكون عن معنى تلك الآية، ولكنه يعتمد على قواعد كثيرة يمكن جمعها في علم التفسير، الذي هو فرع من فروع علوم القرآن، والكلام نفسه يجري في التاريخ، فهو مجموع الحكايات التي تُسرد عن موضوع شخصي معين، ولكن هنالك علم التاريخ وهي القواعد التي على أساسها يتم قبول تلك الحكاية فيما إذا كانت قائمة على قواعد علمية صحيحة، وقد يضم قواعد تستنبط من وقائع التاريخ وتسمى سنن التاريخ، فهي قواعد كلية في نشوء الدول والممالك وسقوطها، وهكذا هو الكلام في الفلك الذي يمثل مسائل موضوعها أحد الأجرام أو الظواهر السماوية، وهو قائم على علم الفلك، ومثل ذلك المحاكمات والتحقيق الجنائي، وما شابه ذلك.

الأمر الثالث: نسبة السيرة

إنَّ معرفة نسبة البحث إلى أيِّ مجال من المجالات يسهل التعرف إلى تشخيص أدواته ومبادئه، فبعض البحوث عقلية، وبعضها نقلية، وبعضها نقلية عامة، وبعضها نقلية شرعية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن المسائل المبحوث عنها إنْ كانت تجتمع وتشترك في ماهيتها، كأن تكون جميعها تاريخية، أو علمية، أو أدبية، أو شرعية، فإنَّ مبادئها تكون واحدة، ومشتركة.

أمّا إذا كانت لكل مجموعة منها ماهية تختلف عن غيرها، فإنَّ لكل مجموعة منها مبادئها الخاصة بها، التي تتناسب مع ماهيتها وسنخها.

وبناءً على ذلك فإنَّ السيرة إن كانت مسائلها كلها ترجع إلى نوع واحد، يكون لها مبادئ مشتركة، أما إذا كان لها أكثر من فرع فقد يكون لكل فرع منها مبادئه الخاصة التي لا بد أن تستحضر عند البحث فيها.

والصحيح أنَّ للسيرة مجموعتين من المسائل، الأولى تاريخية عامة، وهي التي تتعلق بالسير الزمني للأحداث والوقائع، مثلها مثل أيِّ أحداث تاريخية مرّت على البشرية، وهذا القسم يحتاج إلى أدوات البحث التاريخي، وسوف نتطرق إليه قريباً؛ إن شاء الله تعالى.

والثانية: شرعية خاصة، وهي التي يبتني عليها موقف شرعي ويستنبط منها حكم شرعي ما، وهذه تحتاج إلى أدوات خاصة، لأنَّ ميزانها يكون أدق من الأحداث التاريخية العامة، لترتب الأحكام الشرعية عليها.

ولتوضيح ذلك نقول: إنَّ المصدر الثاني من مصادر التشريع عند المسلمين هي السنّة، والتي تشمل قول النبيﷺوفعله وتقريره، وهذا محل اتفاق بين المسلمين تقريباً.

ولا شك أنَّ السيرة تتضمن مواقف معينة صدرت من النبيﷺتتمثل بأقواله وأفعاله وإمضائه لبعض ما حدث بحضرته ولم يعترض عليه، أو سمع به ولم ينهَ عنه.

وهذا القسم من المسائل لا يمكن سردها وحكايتها أسوة بباقي الأحداث العامة، لأنّها تؤثر في نسبة الحكم إلى الله تعالى، ولا يمكن نسبة مثل تلك الأحكام إلا ببينة شرعية تبرئ الذمة وتخلي مسؤولية تلك النسبة أمام الله تعالى في يوم الحساب.

قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى

اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَايُفْلِحُونَ﴾ (١١٦).

وقال تعالى في سورة يونس:﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِن رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾.

وهذا القسم يخضع لمبادئ استنباط الحكم الشرعي مثله مثل سائر النصوص الشرعية.

ويظهر من هذا الثمرة التالية:

إن إخضاع السيرة - وهكذا سائر مسائل التاريخ العام - إلى ميزان توثيق الروايات الشرعية يؤدي إلى عدم التسليم بأكثر ما جرى فيها، وهذا ينطبق على مسائل التاريخ أيضاً، فإن تحكيم سنن وضوابط المنقولات الشرعية يؤدي إلى عدم أثبات أكثر الأحداث التاريخية، وعلى سبيل المثال فإنَّ الكثير مما جرى في أحداث الطف قد جرت روايته على لسان من حضر مع جيش عمر بن سعد، فإذا حكمنا ميزان الروايات الشرعية على مثل هذه المنقولات قد لا يثبت منها شيء، وهذا مخالف للوجدان البشري في رواية الأحداث التاريخية.

وبالعكس إذا لم نجر الموازين الشرعية في التحقق من بعض أحداث السيرة، واعتمدنا على ما روي في السيرة من غير تدقيق أو توثق، سيتم إثبات بعض التصرفات الشرعية التي تُنسب إلى فعل النبيﷺوتكون حجة في تبرير بعض الأفعال التي تصدر من الجماعات الأصولية التي تزعم الجهاد والسعي لإثبات الشريعة الإسلامية منهجًا عامًا للدولة.

وعليه ينبغي التفريق بين مجالين في السيرة، الأول تاريخي يخضع لموازين سرد التاريخ وحكايته، والثاني شرعي يخضع لموازين استنباط الأحكام الشرعية وأصوله، والثاني أكثر دقة وحزماً من الأول، فإذا جرت كل السيرة على النمط الأول - أَيْ:

التاريخي - سيتم الاستناد إلى بعض المرويات لاستنباط الأحكام الشرعية، وفي هذا تساهل واضح، وإن جرت كل السيرة على النمط الثاني - أيْ: الشرعي - يصعب إثبات أكثر الحوادث والوقائع المروية في السيرة.

ومما تقدم يظهر وجه التأمل في إدراج السيرة النبوية في فرع الحديث والرواية، كما هو حاصل في بعض الجامعات الإسلامية، كما يظهر وجه التأمل في إدراجها في فروع التاريخ العام، والصحيح أنَّ السيرة قسم مستقل برأسه يستمد أصوله من مبادئ التاريخ ومن مبادئ الشريعة، كلٌ في مجاله الخاص به، وسيتم التمييز بين مبادئ كل فرع منهما فيما يأتي من كلام.

الأمر الرابع: الغرض من السيرة

إن الغرض من كتابة السيرة قد يختلف أيضاً بحسب المخاطب بها، فإنَّ هذا يؤثر في تعيين مبادئها، والغرض بحسب ذلك يمكن أنْ يكون أحد اثنين:

الغرض الأول: إثبات السيرة النبوية بما هي حكاية عن الواقع، ويكون المخاطب بذلك كل إنسان يحب أن يتعرف إلى السيرة ويطلع عليها.

وهذا الغرض يتوقف على سرد السيرة وفق موازين عامة موضوعية صحيحة، بغض النظر عن قناعة المخاطب بتلك الموازين، ما دامت هي موافقة للمنهج العلمي الصحيح والثابت.

فيستند في إثبات السيرة إلى نصوص القرآن، والحديث الصحيح الوارد عن أهل بيت العصمة، وما روي فيها من المعاصرين لها فيما يوثق به مما يكون محفوفاً بالقرائن وغير معارض للأصول الثابتة والمبادئ العامة.

الغرض الثاني: هو إثبات السيرة للمخالفين الذين قد سلّموا برواية ما لها، وكانت مرتكزة عندهم على نحو القبول العام، وعدم استنكارها أو استهجانها، أو محاولة النظر فيها.

وهذا الغرض لا يكون بسرد السيرة كما هي وفق الموازين الموضوعية المقبولة، لأنَّ المخاطب غير مسلّم بتلك الموازين، وإنما يتخذ لنفسه موازين خاصة قد مضت عليها القرون وتوارثتها الأجيال، ولا يخطر في البال مناقشتها أو التحقق منها.

وهذا الغرض هو الذي يمكن أنْ يطلق عليه بـ(تصحيح السيرة)، وهو لا يستدعي إعادة كتابة كل السيرة - كما هو حال الغرض الأول - وإنّما تتبع المواقف والحوادث المخالفة للواقع وتصحيحها بإثارة ما فيها من مواطن الاعتراض والتنافي وعدم الانسجام، وإعادة بنائها وفق البناء الصحيح.

ولتحقيق الغرض الثاني ينبغي أولاً تحقيق الغرض الأول، بأنَّ تكون هنالك سيرة موضوعية كاملة، تكون هي الميزان الصحيح لتصحيح ما روي في السيرة على مختلف الألسن والمصنفات، فيتم تتبعها وفق مسار السيرة الصحيحة ومحاكمتها وتصحيحها وفق الميزان الصحيح.

وهذا كله يتوقف على بيان الميزان الصحيح للسيرة الموضوعية.

ونخلص من هذه المقدمة إلى نتائج أربعة، تمثل مراحل كتابة السيرة:

الأولى: أنّ التسلسل الطبيعي الموافق للمنهج العلمي هو البدء بوضع ميزان لكتابة السيرة النبوية المباركة، يتضمن شطرين، الأول خاص بالمبادئ التاريخية لإثبات الوقائع والأحداث، والثاني: خاص بالمبادئ الشرعية لإثبات الأحكام الشرعية.

وإذا كان الإخوة الباحثون في السيرة يرون أن القسم الثاني خارج اختصاصهم باعتبار أنّه يتعلق بالفقه والفقهاء، فيمكن الاقتصار على الشطر الأول، وعند المرور على ما يكون من الشطر الثاني يستعان عليه بما هو مشهور بين الفقهاء أو بنقل القدر

الذي هو محل اتفاق بين الفقهاء، وعدم التورط بالخوض في ذلك.

نعم، لا بأس بالبحث عن القدر العام الموافق للشريعة، وليس بالضرورة أن يكون له تعلق بالأحكام الشرعية، كموافقة الأصول العقائدية، أو صدروه عن أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين)، فهذا القدر لا بأس به، ولكنّه على كل حال يحتاج إلى خبرة معتدٍّ بها للتمييز بين هذه الأصناف من الأحداث.

الثانية: صنع موسوعة شاملة كل ما روي في السيرة، مبوبة في فصول تمثل مراحل حياة النبيﷺ وفق مخطط زمني معلوم، إمّا بحسب سنوات عمره الشريف، أو بمفاصل معينة من حياته كالولادة والصبا والزواج والتحنث في الغار والبعثة النبوية والصدع بالدعوة والإسراء والهجرة ومعركة بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة والوفاة.

فيجمع كل ما روي عن كل مرحلة من تلك المراحل ويبوب في أبواب واضحة، ليستعين بها الباحثون في تتبع مسار السيرة عند إرادة تحقيقها وكتابتها.

او اعتماد إحدى الموسوعات الصادرة في هذا الشأن، وأخذها بتمامها، أو الزيادة عليها مما أغفلته من منقولات وروايات وردت في السيرة.

الثالثة: يتم وفق الميزان الذي وُضِع في المرحلة الأولى مراجعة ما جُمع في المرحلة الثانية، وأخذ ما هو موافق للميزان التاريخي والشرعي وكتابة السيرة على وفقه مرحلة بعد مرحلة إلى نهايتها، ويتم في كل حدث منها أو مرحلة من الأحداث بيان الميزان لترجيح تلك الروايات واختيارها، ويتم الاقتصار على ذلك من غير الاسترسال في ذكر الأقوال والمرويات الأخرى لاختزال الزمن في انجاز هذه السيرة.

الرابعة: يتم وفق ما أثمرته المرحلة الثالثة، فرز المرويات المخالفة لها المجموعة في المرحلة الثانية، وبيان الوجه في ضعفها وعدم صحتها، وفق الميزان الصحيح الذين تم تحريره في المرحلة الأولى.

هذا هو الكلام الخاص بمقدمة البحث، ويأتي الكلام بعد ذلك عن المرحلة الأولى بشكل موجز في وضع الميزان العلمي لكتابة السيرة، وهي أربعة موازين، الكتاب والسنّة والمرويات الموثوقة والمبادئ النفسية والاجتماعية التاريخية.